حسنين كروم

سقوط الحكيم

الرّد على كتاب "وثائق في طريق عودة الوعي"

● لطفي الخولي
وصهر عبد الناصر..
وأسرار تنشر لأول
مرة ● الشيوعيون
واحتواء الحكيم ! ● الحرية
لهيكل وحده .. أم للجميع ؟!

سقوط الحكيم

« الرد على كتاب وثائق فى طريق عودة الوعى »

حسنين كروم

الطبعة الأولى
ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٥

الغلاف من تصميم الفنان
مكرم شحاته

مقدمة

عن التجارة والديموقراطية

.. هذه هى المرة الثانية التى أرد فيها على الأستاذ توفيق الحكيم ، كانت المرة الأولى حين نشرت فصلا فى كتاب « عبد الناصر المفترى عليه » أرد على كتابه « عودة الوعى » ، وفى هذه المرة ، أرد بكتاب مستقل على كتابه الثانى « وثائق فى طريق عودة الوعى » .

وقد يرى البعض أننا سنحترف مهنة مهاجمة توفيق الحكيم لأغراض تجارية وشخصية ، على أساس أن أى كاتب نكرة وغير معروف . عليه أن يهاجم كاتباً مشهوراً أو عملاقاً . لينال الشهرة التى لاتؤهله مواهبه أو قدراته للحصول عليها وليضمن لكتبه الرواج ليستفيد من وراء ذلك .. أيضاً هناك من يرون أننا نتطاول أكثر من اللازم على هرم شامخ كتوفيق الحكيم بحجة الدفاع عن

عبد الناصر ، ناسين أن ناصر كرم الحكيم تكريماً غير عادى وأنه تأثر به « وخاصة بكتاب عودة الروح » . فإذا كنا أوفياء لناصر فعلينا أن نتذكر تأثر عبد الناصر بالحكيم . ومحبته له . . وأخيراً هناك من يرون أن ما نفعله « قلة أدب » وخاصة العبارات القاسية التى تتطاير هنا وهناك - وأن الموازين اختلت وضاعت القيم . وجن القوم جنوناً كبيراً ، وهذا من علامات الساعة . أن يشتم صغيرهم كبيرهم . وحقيرهم نبيلهم وفقيرهم غنيهم ، ولا يحترم الإبن أباه .. الخ . إلى آخر هذه المظاهر التى يرى البعض أنها من علامات الساعة .

. . فإذا أردنا أن نرد على هذا الاستنكار لهجومنا على الأستاذ توفيق الحكيم . سنجد كثيراً من الحجج التى قد تقنع أولئك بحسن نوايانا . . منها على سبيل المثال :

أننا حين نقول رأينا فى أى شىء وأى شخص إنما نستعمل حقنا الديموقراطى فى التعبير عن آرائنا دون أن يحجر علينا أحد ومحاولة منعنا من ممارسة ذلك تحت أى حجة تعتبر عملا من أعمال الديكتاتورية .

ومنها أن الأستاذ توفيق الحكيم قد وضع نفسه طرفاً فى معركة مستعرة ذات طابع سياسى وطبقى ، فقد أصبح مؤيداً للرجعية التى

تعمل بنجاح لتصفية المكاسب التى حصل عليها العمال والفلاحون .
وتخطط بنجاح مذهل للقيام بثورة مضادة تعيد فيها إلى البلاد سيطرة الرأسماليين والإقطاعيين من جديد ، وتأييده أتخذ طابعاً يتسم بالمكر. فهو لا يعلن تأييده صارخاً كما يفعل مصطفى أمين وصالح جودت وأحمد أبو الفتح وغيرهم من الذين يقودون حملة فظيعة وصريحة فى الصحافة ضد كل ما هو تقدمى . وكما يفعل عدد آخر من مؤلفى الكتب التى تنهمر فى الأسواق كالمطر مملوءة بالعداء المكشوف، والمنحط للنضال الوطنى للشعب ، ككتب الدكتور ابراهيم عبده وزملائه من الكتاب الرجعيين الذين يعتبرون أبواقاً لأمريكا .

توفيق الحكيم لا يفعل كما يفعل هذا الطابور الرجعى ، وإنما يهاجم عبد الناصر وإنجازاته بضراوة ويعادى الشيوعيين فى نفس الوقت ، ويصمت عن الطابور الرجعى ، وعن هجوم الرجعية الفاجح لاستلاب العمال والفلاحين أبسط حقوقهم . . ومادام الأستاذ توفيق الحكيم قد آثر أن يلعب لعبته فى السياسة . فعليه أن يتوقع — على أبسط تقدير — أن نرد عليه . لأنه أصبح طرفاً . ولأننا نرفض لعبته المزدوجة ، فإذا حققت الكتب التى نرد بها عليه رواجاً وانتشاراً ، وعادت علينا بالشهرة والفلوس . فهذه مسألة لم نكن نهدف إليها

أساساً . ويكفى أن الناس تستقبل هذه الكتب بمثل هذا الاستقبال الحسن الذى يوضح أن الرجعية مهما فعلت ، ومهما برعت فى إخفاء أهدافها الحقيقية ، فإن الغالبية الساحقة من شعبنا لن تجوز عليها اللعبة ، وهى متعطشة إلى قراءة الردود على هذا الطابور الرجعى من الكتاب . . وعلينا أن نعترف بحقيقة : وهى أن اسم المؤلف لم يعد ذات قيمة كبرى الآن فى رواج الكتب أو فى كسادها — وأنا أقصد الكتب السياسية بالتحديد — وإنما العنصر المهم الآن هو محتوى الكتاب والقضايا التى يعالجها . فالمجتمع المصرى ينقسم الآن بشكل واضح ، وتريد كل قوة فيه أن تعبر عن نفسها بصراحة ، وأن تخوض معاركها لحسابها وليس لحساب قوى أخرى ودون وصاية أحد . وبالتالى تريد الدخول فى معارك مكشوفة تعرض فيها وجهات نظرها فى مختلف القضايا ، وأصبح سوق الكتاب المصرى أكثر حيوية لهذا السبب وحده ، فالكتب التى تهاجم عبد الناصر أو تدافع عنه تحقق رواجاً لابأس به . لا لإسم الكاتب ولكن لأن الناس مشوقون لمعرفة الحقائق وللبحث عن أى الكتاب يعبر عن اتجاهاتهم بصدق . . وحتى الأستاذ الحكيم نفسه . فإن كتبه الأدبية والفنية ، ومسرحياته لم تحقق رواجاً كبيراً . أما كتابه « عودة الوعى » فقد كان قنبلة * وحقق رواجاً هائلاً بحيث

يمكن أن نضع توزيع هذا الكتاب وحده فى كفة وغالبية كتبه الأخرى فى كفة . . إذن فما السبب برغم أن الكاتب واحد ؟

. . أنه محتوى الكتاب .

. . وعلى كل حال فإذا كان البعض لايريد أن يقتنع بذلك ولا يزال مصراً على اتهامنا بأننا نبغى التجارة والفلوس . فيمكن إسكاتهم بالقول . . وماذا فى ذلك ؟ أليس تسعة أعشار الرزق فى التجارة ؟

. . أما الاحتجاج بأن عبد الناصر كان يحب الحكيم ويرعاه وكان متأثراً بكتابه « عودة الروح » . فإننا نقول — إننا حين ندافع عن عبد الناصر ضد هجوم الرجعية فإنما ندافع عن نضال شعبنا وعن شرفه من أن تلوثه الأيدى الآثمة للرجعيين الذين يريدون تحويل بلادنا إلى مجرد تابع لأمريكا . ولأننا ندافع عن مصالح العمال والفلاحين الفقراء التى كان ناصر مقاتلا عظيما فى سبيلها .. أنه دفاع عن مبادىء . وبعد ذلك فلسنا ملزمين بأن نحب كل ما أحبه ناصر وأن نكره ما كان يكرهه . وأن نفعل نفس ما كان يفعله .

... ومع ذلك . . فماذا لقى عبد الناصر من توفيق الحكيم ؟

. . كذلك فأن الذين يعتبرون ما يحدث من دلائل اقتراب

الساعة . يهمنا أن نقول لهم ، أننا نرفض تقديس أى إنسان ووضعه فوق مستوى النقد والهجوم ، لا الحكيم ولا غيره . وأن جيلنا أصبح يمقت الوصاية من أى أحد . وهو جيل يعرف كيف يشق طريقه ، وكيف يواجه الحياة دون أوصياء . وأننا قد مللنا الإدعاء والكذب ، والنفاق والتلون ، والحياة الزائفة المتعفنة التى تخفى انحلالها وتعفنها وراء ستارة كاذبة من القيم . أننا جيل يريد أن يخوض معركته بنفسه وأن يقاتل فى سبيل ما يعتقد أنه الصواب ، ولهذا فلسنا على استعداد لأن نسكت عن توفيق الحكيم أو غيره ، ولن يكون الحكيم أستاذاً لجيلنا بالمرة ، لأننا نرفض هذه الأستاذية من رجل خرج علينا بعد صمت عشرين عاما . ليقول لنا أنه كان فاقداً لوعيه . . وليقول أن عبد الناصر تأثر بآرائه التى كانت مبنية على نظرية الكل فى واحد ، والزعيم الفرد الملهم . وكانت النتيجة الفشل والضرر . أى أننا نعانى من نتائج تأثر عبد الناصر به . . . ولسنا على استعداد لأن يكون أستاذاً لجيلنا من يصمت بوعى عن الرجعية فى مصر ، ومن يرفض أن يدافع عن مصالح العمال والفلاحين . ومن لا يريد أن يدافع عن الاشتراكية .

. . لسنا على استعداد لأن يكون أستاذاً لجيلنا إنسان يصدر

كتاباً ينشر فيه فصلا كاملا تحت عنوان « اشتراكيتى » . . ويأتى بمقتطفات من كتبه القديمة ليدلل بها على أنه اشتراكى قديم ، ثم نجده بعد شهر من صدور كتابه يقول فى مجلة الطليعة « أنه ليس يسارياً » . ويحتج بعنف على لطفى الخولى حينما يذكره بأنه قال عن نفسه أنه اشتراكى . ويقول له كالملدوغ :

« ولا اشتراكى حتى . . أنا لا أعرف هذه الكلمة » .

. . إن جيلنا يرفض أن يكون أساتذته بهذا التلون وفقدان الوعى المستمر وقول الشىء ونقيضه معاً .

. . لقد أفلسوا روحياً ولن يستطيعوا أن يعطوا شيئاً فى ساحة النضال ضد اليمين . لأنهم انحازوا إليه .

. . وبعد ذلك . إذا صمم البعض على القول بأن التصدى للحكيم ولغيره من القمم يعتبر من علامات الساعة . . فليكن ما يقولونه صحيحاً . ولكن بشرط أن تكون ساعتهم هم ، وليست ساعة جيلنا الذى يبحث عن روحه وعن اتجاهاته التى يدافع عنها دون وصاية من أحد .

. . اتجاه دينى ؟ .

. . فليكن .

. . اتجاه يمينى ؟

. . فليكن .

. . اتجاه ماركسى ؟

. . فليكن .

. . اتجاه ناصرى ؟

. . فليكن .

المهم أن نرفض جميعا الوصاية والتزييف والتلون بعد اليوم . وليكن ذلك من علامات اقتراب ساعة عصر التزييف السياسى والنفاق الاجتماعى .

توفيق الحكيم والنضال السرى

« ها أنذا لم أسكت ، ولم أنتظر حتى يأتى اليوم من يسأل لماذا سكت ؟ ولماذا لم تتكلم وتقل له رأيك وهو حى » .

توفيق الحكيم فى كتابه وثائق فى عودة الوعى — يتحدث عن رسالته لناصر .

ألقاب مملكة فى غير موضعها

كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

— شاعر عربى قديم —

.. منذ أكثر من عام مضى صدر للأستاذ توفيق الحكيم كتابه الشهير « عودة الوعي » الذى هاجم فيه عبد الناصر هجوماً مريراً ، وأدان عهده إدانة كاملة . وخلص إلى نتيجة مؤداها أن هذا العهد قد جر الخراب على مصر وعمم الإرهاب ، كما أنه عهد لم يكن له طيلة تاريخه حسنة واحدة ، حتى تأميم القناة ، كان عملا فاشلا ، ولم يكن له مبرر .

.. لقد أحدث الكتاب دوياً هائلا . وتلقفته الأقلام الرجعية بالتهليل والتطبيل ، ولكن المشكلة التى كانت تحرج الحكيم وتهدد بكشف حقيقة موقفه الذى لم يكن إلا انتهازياً بالدرجة الأولى كانت تكمن فى سؤال بسيط .. هو :

وهل نسيت ماقلته مدحاً فى ناصر ؟ ثم أين كنت إذن وهذه المصائب تجرى وتلك الأهوال تقع ؟

.. كان رد الحكيم فى الكتاب ، تبريراً من أعجب التبريرات .. وهو أنه كان فاقد الوعي . لايدرى بما كان يحدث ويجرى ، ذلك أن ناصر كان ساحراً ماهراً نجح فى تنويمه تنويماً أشبه بالتنويم

المغناطيسى . وحين انزاح الكابوس بموت عبد الناصر ، انتهى تأثير السحر ، وعاد إليه الوعى . فأصبح فى وضع يمكنه من رؤية الصورة الحقيقية لعهد ناصر ، وقد اتضح أنها صورة بشعة .

. . ولاشك أن هذا التبرير لا يمكن قبوله بالمرة ، أو الإعتداد به . لأن تبرير سخيف ، ومثير للخجل بالنسبة لأى إنسان عادى . فما بالك إذا جاءنا من شخص يعتبر من الوجوه البارزة جداً فى الحياة الفنية والثقافية ويسافر للخارج كثيراً . ويعيش فى قلب الأحداث ودوامتها ، مما يؤهله لأن يعرف الكثير من الأسرار ومن الخبايا ، كما أن تقدمه فى السن يعطيه حصانة ضد الوقوع فى التنويم المغناطيسى أو التسرع فى تصديق الدعايات .

. . فى « أهرام » الجمعة — ١٥ أغسطس (آب) ١٩٧٥ — كتب الدكتور لويس عوض مقالا بعنوان « أقنعة الناصرية السبعة : البدر والمحاق » تعرض فيه لمسألة فقدان وعى الحكيم .

. . وقال أن هناك صعوبة فى عملية التأريخ لناصر فى هذه الفترة ومن جانب المعاصرين له على السواء . فقال :

« وإذا كان هـذا حالنا نحو المخضرمين الذين عاصروا العهد البائد وعهد ثورة ١٩٥٢ فرأوا الأشياء من زاويتين فهو من باب

أولى ينبطق على جيل الثورة أو أجيالها ممن فتحوا عيونهم وهم بعد في الرابعة عشر على جمهورية تقوم على أنقاض الملكية أو فتحوا عيونهم وهم بعد في الرابعة عشرة على قعقعة الانهيار الكبير في ١٩٦٧ حتى هؤلاء منهم من رأى المجد والهزيمة معا ، ومنهم من لم ير إلا الهزيمة وبدايات الانتصار ، ومن هؤلاء الشباب حشود محشودة كانت تلقن تلقينا بالحقائق والأساطير ولم تعرف ما كان يعرفه توفيق الحكيم من حقائق مجردة من الأساطير ، فإن كان قد غاب وعيها فلها من العذر ما ليس له » .

.. ويختتم الدكتور لويس مقالته قائلا : —

« أما أنا فأرى الأمر في غاية التعقيد ولا يحل تعقيده أن يقول كل منا للجيل الحاضر ولمستقبل الأجيال عفواً فقد كنت نائماً باستهواء هذا الساحر العجيب ولم أفق إلا حين وجدت نفسي في قاع هاوية ١٩٦٧ . فأقدام إسرائيل لا تزال تدنس أرض سيناء منذ ١٩٦٧ ، ولن يجدى أن نقول لبنينا : عفواً لقد مر في بلادنا ساحر لا نعرف من أين أتى ولا كيف ألقى علينا بطلاسمه غلالة من النوم العميق فأضعنا جزءاً من أرض الوطن . عندئذ سوف يقول بنونا : إذا لم يكن لديكم عذر خير من هذا فاصمتوا صمت القبور »

.. لقد تكلم وكتب كثيرون قبل مقال الدكتور لويس — الذى كان غائباً لأكثر من عام عن أرض الوطن — يقولون نفس الشيء .. ولكنى أعتقد أن الدكتور لويس قد صاغها صياغة محكمة ومعبرة أبلغ تعبير .

.. حقاً فإن على الحكيم أن يصمت صمت القبور ، وعليه أن يكف عن الاستمرار فى هذه المهزلة .

.. ولكن المشكلة أن توفيق الحكيم يبدو مصمما على عدم الصمت ، وأنه عازم على الاستمرار فيما بدأه .. ولا نعرف إلى أى مدى يريد أن ينتهى بهذه المهزلة التى بدأها ..

.. من الواضح أن من أبسط شروط الاستمرار فى حملة التشهير والتجريح التى بدأها ضدعبدالناصر هو أن يسوق إلينا أسباباً أخرى، غير السبب المزرى الذى ساقه إلينا فى « عودة الوعى » .. وهو أنه كان فاقداً وعيه — وإلالصاق الناس به وبوعيه الذى كان مفقوداً، ثم بوعيه الذى لم يعد إليه إلا بعد وفاة ناصر ..

ولأن الحكيم مصمم على مواصلة عملية التجريح والتشويه ، ولأنه لا يريد أن يصمت . فقد فاجأنا بالسر الدفين الذى ظل يكتمه طويلا بين جوانحه ، وهو السر الذى أعتقد أنه سيفحم به نقاده

ولائميه ، ويلقمهم حجراً حتى يصمتوا ويكفوا عنه ، ويتركوه ليواصل حملته بسلام ..

.. تسألوننى لماذا سكت ، وأين كنت أيام عبد الناصر ؟

ويجيب الحكيم قائلا : —

« ها أنذا لم أسكت ، ولم أنتظر حتى يأتى اليوم من يسأل « لماذا سكت ؟ ولماذا لم تتكلم وتقل له رأيك وهو حى ؟ »

.. ثم أخذ الحكيم يعدد لنا بطولاته التى قام بها أيام عبدالناصر وهى البطولات التى ضمنها فى كتابه الجديد « وثائق فى طريق عودة الوعى » .

.. فى هذا الكتاب يرد الحكيم على الذين عايروه بصمته أيام حكم الرئيس عبد الناصر . والذين سألوه بعد أن نشر كتابه « عودة الوعى » — قائلين :

.. وأين كنت إذن ياشيخنا ؟ ولماذا لم تقل له رأيك الذى تقوله الآن ؟ » .

.. توفيق الحكيم فى الكتاب الجديد ، يرد بحسم على كل هذه الانتقادات ويزيح الستار لأول مرة ، عن أسرار جديدة مدعمة

بالوثائق الدامغة التى لا يأتيها الباطل من أى جانب لا من أمامها ولا من خلفها أو من تحتها ، أو من فوقها .

.. والوثائق التى يزيح الستار عنها هى النص الكامل لرسالة كان قد كتبها إلى عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ وصورة زنكوغرافية لها .. ومضمون الرسالة هو أن الحكيم يطالب عبد الناصر بأن يبقى على الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيسا لتحرير الأهرام . وبصرف النظر عن مسألة تعيينه وزيرا للاعلام لما فى ذلك من أثر على الأهرام وعلى الدور الطليعى الذى يؤديه .

.. قد يتساءل القارىء ..

وأى بطولة فى هذا الأمر ؟

ولكن الحكيم يكمل الرواية . بأن هذه الرسالة كانت موضع تحقيقات النيابة ، وأثارت غضب الرئيس . وكان من نتيجة ذلك أن تم القبض على لطفى الخولى – رئيس تحرير مجلة الطليعة – وزوجته، وفصل من عمله وسجن ، وقبض على السيدة / نوال المحلاوى سكرتيرة – هيكل – وفصلت وسجنت ، كما قبض على زوجها السيد / عطية البندارى وتم التحقيق معهم . وقد أورد توفيق الحكيم

نصوص التحقيقات التى أجرتها النيابة مع الثلاثة لطفى الخولى ونوال المحلاوى وزوجها . ثم نشر صوراً زنكوغرافية لمحاضر التحقيق .

.. هذا هو الجانب الهام فى الكتاب .. ثم يحتوى الكتاب على مقتطفات من كلام لتوفيق الحكيم كان قد نشره فى بعض كتبه فى الأربعينات تحت عنوان .. « اشترا كيتى » .. ولا نعرف ما إذا كان يعتبر هذه الكتابات القديمة وثائق أم لا ؟

.. وجزء آخر من الكتاب عبارة عن الرسالة التى أرسلها للرئيس أنور السادات وجميع عليها توقيعات الكثير من الأدباء والكتاب فى عام ١٩٧٣ .

ثم جزء آخر من الكتاب ، عبارة عن بعض من كلامه فى اللقاءات التى كانت تجرى بينه وبين هيئة تحرير مجلة الطليعة ، والتى كانت حصيلتها تنشر شهريا بالمجلة تحت عنوان « اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم » .

.. هذا هو الكتاب الذى عنوانه « وثائق فى طريق عودة الوعى » .. وليس به من وثائق إلا رسالته لناصر ثم صور محاضر التحقيقات فهذه هى المعلومات الجديدة . وأما رسالته للسادات .. فقديمة وسبق نشرها فى معظم صحف العالم ، وكذلك كتاباته

فى الأربعينات وما قاله فى مجلة الطليعة لا يعتبر وثائق ، إلا إذا صمم هو على أن كل ما يقوله وينشره يعتبر وثيقة . حتى لو كان قد سبق نشره من سنين مضت . .

* * *

يقول توفيق الحكيم عن رسالته إلى عبد الناصر : —

« أما الرسالة فقد كتبتها بمناسبة تعيين محمد حسنين هيكل وزيراً ، ونقله بذلك من مجال القلم إلى كرسى السلطة وأردت أنا أن أجعل من هذه المناسبة وسيلة لإفهام الرئيس عبد الناصر أن البلاد وهى تعانى أزمة نفسية شديدة بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبحت لا تصدق ما يصدر عن الجهات الحكومية لأن أزمتنا هى أزمة ثقة ، ولذلك فإن الأقلام الحرة المستقلة هى وحدها التى تستطيع أن تعالج نفسية الرأى العام . ولكن هذه الرسالة أصبحت موضع تحقيقات كما هو مبين فى ملفات التحقيق الرسمية هذه . ومنها يتضح كيف أن هذه الرسالة على الرغم من صيغتها الودية وصراحتها المخاصة ونصحها الأمين لم تكن محل ترحيب ، بل كانت موضع ضيق . بل لقد توقع لها أحد المستجوبين (يقصد عطية البندارى) ســــــوء العاقبة » .

وسوف ننشر النص الكامل للرسالة كما نشرها الحكيم فى الكتاب على صفحتى ١٦ — ١٧ :

« سيادة الرئيس . .

سمحت لنفسى أن أكتب إليكم هذا الخطاب الخاص لما لى من صلة قلم بجريدة الأهرام باعتبارها المنبر الذى ينطلق منه صوت بلادنا فى أرجاء الأرض . ودفعنى إلى ذلك ما علمت به فى أمر تعيين الأستاذ محمد حسنين هيكل وزيراً للارشاد . ولثقتى الوطيدة بسداد رأيكم فقد تقبلت الخبر بشىء من التفكير . وجعلت أقلب الأمر على مختلف وجوهه . وتمهلت قليلا فى قبول ما يلوكه الناس من تعليقات . ربما كان أكثرها صادراً ممن يهمهم إضعاف هذا المنبر وإخفات صوت يعتقد أنه منبعث من منبع القلب الوطنى والقومى . مهما يكن من أمر فهناك حقيقة لم أستطع لها دفعاً : هى أن جريدة الأهرام باستقلالها وبما فيها من أقلام حرة يثق بها الناس قد استطاعت وتستطيع دائماً أن تشيع فى النفوس الثقة والأمل بهذا الاتجاه الذى سارت فيه فى طرح الحقائق — حتى المؤلم منها ثم الإيحاء مع ذلك بروح التفاؤل . بعيداً عن أى توجيه رسمى ، قد هيأها لهذه المهمة الفريدة فى وقتنا الحاضر وجعل منها الأداة الفعالة فى تنوير الرأى العام والتأثير فيه دون الالتجاء إلى الشعارات المفتعلة التى مجها الناس من أجهزتنا

الرسمية ، وهذه الأجهزة الرسمية الإذاعية لها عذرها ، ولا ينتظر منها أن تفعل أكثر مما تفعل لأن الناس لا تصدق غالباً ما يصدر عن جهاز حكومى . وهنا الأزمة الحقيقية يا سيادة الرئيس . أزمتنا اليوم هى أزمة ثقة والحالة النفسية التى يمر بها شعبنا اليوم هى الحيرة والقلق وبلبلة الفكر . وكل شعب فى مثل وضعنا مر بهذه الحالة . ولكن علاجها دائماً كان فى وجود الثقة ، لأن أصواتاً ومنابر حرة كان يعرف منها كل شىء بحجمه أما نحن فقد انفردنا بالعلة دون العلاج لأننا اعتمدنا على أجهزة الدعاية الرسمية وحدها . جهاز واحد كان يرجى منه العلاج .. هو الأهرام الحر وكان الناس فى مصر والعالم العربى ، بل وخارج هذه البلاد ينتظرون كل جمعة مقال بصراحة ليعرفوا حقائق ما يجرى من خلال أسطر لا تنتمى إلى جهة رسمية ، ولكنها تكشف عن الصدق الذى يريده الناس على قدر الإمكان .

أتصور الآن ما يجرى يا سيدى الرئيس إذا فقدت الأهرام هذه الصفة ، ما الذى سيبقى للناس ؟ أبواق إذاعة وتلفزيون لا تقبل إلا لأغانيها ... وكل نشاط لهذه الأجهزة فى مجال الرأى سيأتى بعكسه ، لأن الناس لا تريد الآن أن تصدق إلا ما يصدر بعيداً عن السلطة .

صدقنى يا سيادة الرئيس أن جريدة الأهرام بأقلامها المستقلة تستطيع أن تعالج نفسية الرأى العام بأفضل مما تستطيع وزارة من

الوزارات . ولا أقولها دفاعاً عن زميل فالموقف أجل وأخطر من أن أنظر إليه من زاوية شخصية ، إنما هو الحق الذى أراه ونحن نجتاز مرحلة حرجة من تاريخنا على كل مواطن فيها أن يكون صريحاً .

فاعذرنى يا سيادة الرئيس إذا أقحمت نفسى وكتبت إليكم لأول مرة بما بدا لى فى هذا الشأن الهام . وإنى لعلى يقين دائماً بحكمتكم وحبكم لبلادكم بما تريدون لها وتعملون من أجل حريتها ونهضتها ، وتفضلوا ياسيادة الرئيس بقبول أصدق آيات التقدير والإجلال » .

هذه هى الرسالة ، أو السر الدفين ، الذى ظل توفيق الحكيم يطويه بين جوانحه تواضعاً ، ثم اضطر إلى أن يقذف به أخيراً بعد بعد أن اشتدت عليه الحملة ، وبعد أن سأله الناس : وأين كنت إذن؟ وهو يعتقد أنه أفحم الجميع . وأثبت أنه فعل شيئا خارقا ، لم يأت به الأوائل . ولن يأتى به الأواخر .

وفى حقيقة الأمر . فإن هـذه الرسالة قد جعلت موقفه أكثر صعوبة لأنها تثير السخرية أكثر مما أثارته مسألة تعلله بفقدان وعيه . وكان من الخير والأفضل له أن يحتفظ بسر هذه البطولة لنفسه ولا ينشرها على الناس متباهيا بها ، لأنها ليست كذلك . وإنما هى إدانة

جديدة له . ولأنها ألجأته إلى الوقوع فى خطأ آخر أكثر فداحة وهو لجوئه إلى الإفتراء على الحقيقة .

وعلى كل حال ، فإن رسالة الأستاذ توفيق الحكيم قد وجدت من يدافع عنها ، ويصرخ « وثيقة .. وثيقة .. » ليتخذها مناسبة للهجوم على عبد الناصر .. وهذا « الزاعق » هو الدكتور ابراهيم عبده فى كتابه « تاريخ بلا وثائق » الذى صدر فى شهر أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٥ . ويبدو أن « القدر » أراد أن يضفى لمسة سخرية على الموقف ، حينما اختار شخصاً كالدكتور ابراهيم عبده ليدافع عن وثيقة توفيق الحكيم .. ويعتبر أن الباطل لا يأتيها من يمين أو يسار ، أو من تحت أو من فوق .

فكما هو معروف . فإن الدكتور ابراهيم ينز قلبه سماً وحقداً على عبد الناصر ، وعلى كل شيء له صلة بالاشتراكية أو بالاستقلال الوطنى . وهو رجل يرى أن تحدى الاستعمار جنون مطبق . وهو للآن لا زال يهاجم تجرؤ عبد الناصر على تأميم قناة ويهاجم كل إنسان يطالب بوجود القطاع العام ويتهم بالعمالة كل إنسان يرفض أن يبيع بلاده واقتصادها للأجانب ، ثم هو رجل حاقد على الفلاحين الذين استفادوا من الإصلاح الزراعى ، الذى يعتبره عملا من أعمال

السرقة والكفر وبالتالى فبناء على قوله — فالفلاحين الذين استفادوا من الإصلاح الزراعى كفرة ومغتصبون لأنهم استفادوا من قانون كافر ويدافعون عنه . ولأنهم لصوص أخذوا أراضى الإقطاعيين المساكين الذين استطاعوا أن يشتروا آلاف الأفدنة من عرق الجبين وينشئون المصانع ويمتلكون ملايين الجنيهات بجهودهم الذاتية .

ويشاء القدر ثانياً أن يكون الدكتور ابراهيم عبده هو المؤمن الوحيد بوثيقة الحكيم وصحتها . وهو رجل وصل به سوء الأدب وانعدام الشهامة والضمير إلى الدرجة التى يطالب فيها بطرد حرم عبد الناصر من بيتها ، فى الوقت الذى طالب فيــــه برد كل شىء للاقطاعيين والرأسماليين !! .

ويتقدم باقتراح عبقرى وجذاب وهو أننا نعانى أزمة فنادق والمكان الذى تسكن فيه زوجة ناصر مناسب تماماً لإقامة فندق عالمى يدر عملة صعبة على البلاد فنستطيع استغلالها فى حل أزماتها !!

وما نقوله عن الدكتور ابراهيم ليس نكته ، ولا كابوساً رأيناه فى المنام ، وإنما جاء على لسانه فى كتابه السالف الذكر .

ويشاء القدر ثالثاً .. أن يكون المدافع عن وثيقة الحكيم هو

رجل طرد من الجامعة عام ١٩٥٤ بسبب أمور يعف القلم عن ذكرها ولكن قد تضطرنا الظروف لذكرها فى كتاب قادم .

يقول الدكتور فى كتابه عن رسالة الحكيم ص ١٣٤ ـ ١٣٥ :
« فتانا الجرىء الشجاع[1] .

هل بلغتك قصة الرسالة التى كتبها الحكيم لعبد الناصر قبل وفاته بشهور ؟ لقد كتب الرجل رسالة رقيقة عذبة ليس فيها احتجاج بل هى فى جملتها رجاء لصالح الرئيس ، كتبها وهو يقدم رجلا ويؤخر رجلا ، ينصح بأن يبقى الرئيس هيكل بعيداً عن منصب الوزارة حتى لا يفتقده قراؤه فى الأهرام . رسالة رقيقة عذبة منطقية مفيدة للرئيس كتبها صاحبها ثم قرأ آية الكرسى قبل أن يعطيها لزوج إبنته حاتم

(١) الدكتور ابراهيم يقصدنى وهو يرد على الانتقادات التى وجهتها للاستاذ الحكيم فى كتابى « عبد الناصر المفترى عليه » وقد قال عنى الدكتور المؤدب أننى من أبناء السفلة وأننى حشاش ومجنون وبقرة وماركسى وناصرى وشيوعى وتقدمى وقذافى وأن القذافى هو الذى دفع تكاليف كتابى . كما أخذ يستعدى على الدولة والمسئولين والإتحاد الاشتراكى .. لمجرد أنى تجرأت ونقدت كتابيه «رسائل من تاقنتان» و « الوسواس الخناس » .

صادق ليسلمها بدوره للرئيس ليقرأها وحده ولا يراها أحد ولا تنشرها جريدة ولا يطلقها مذياع . وقرأ الرئيس الرسالة وأهملها ثم نقل إليه أن الأستاذ لطفى الخولى وقرينته وسكرتيرة هيكل وزوجها قد علموا بمضمون الرسالة ، فقامت الدنيا وقعدت .. ودعى الأربعة إلى التحقيق أياما وليالى متصلة ، وكانت المخابرات قد سجلت لهم ما دار من حديث عن الرسالة وهم فى جلستهم العائلية ، ولم يكن فى حديثهم ما يشين أو يضير أحداً . . ثم ماذا ؟ حولت رسالة الحكيم إلى النائب العام بخطاب من سامى شرف ، ثم قبض على الأربعة وأمضوا فى السجن ستة أشهر بلا تحقيق ، وكأنهم كانوا يتدارسون منشوراً ثورياً كتبه الحكيم يدعو فيه للثورة على عبد الناصر ونظام حكمه البوليسى البغيض ؟ » .

وهكذا لم يكتف الدكتور بترديد رواية الحكيم دون أن يحاول أن يفكر ولو قليلا فى الثغرات العديدة الموجودة بها . وإنما راح هو الآخر يزيد عليها تفسيرات من خياله مدفوعاً بأحقاده السوداء المدمرة .

.. ويشاء القدر رابعاً ، أن يقول الحكيم عن رسالته أنها وثيقة تساهم فى تقوية ذاكرة الأمة .. وفى نفس الوقت فإن الدكتور ابراهيم

يحلو له دائماً أن يطلق كلمة وثائق على البذاءات والأفكار السطحية التي يملأ كتبه بها ..

أليس قدراً غريبا وساخراً ؟ ..

مأساة أن تدور عجلة الزمان دورتها القاسية لتقذف إلى الحكيم بشخص فى مثل صفات وأخلاق وأفكار الدكتور ابراهيم عبده ليتولى تبرير التزييف !!.

وسوف نقوم بإبداء عدد من الملاحظات على كلام توفيق الحكيم بالنسبة للرسالة ، وبالنسبة للتحقيقات ، ثم نورد الرواية الحقيقية على لسان عدد من شهودها الأصليين ، لتتضح لنا الصورة ، وهل هى كما نقلها وكتبها الحكيم . وبعد ذلك سننتقل لمناقشة إدعائه الاشتراكية .

١ - حرية هيكل ، أم حرية الجميع

.. إذا كان الأستاذ توفيق الحكيم قد أرادأن يسكت منتقديه بالرسالة التى نشرها ، فإنه يكون قد فعل العكس تماماً ، ذلك أنه قدم دليلا جديداً دامغاً لا يمكن له أن يتهرب منه هذه المرة على صحة ما يقوله منتقدوه ولائموه من أنه لا يمكن أن يتخذ موقفاً فيه قدر من المسئولية ، وأنه انتهازى لا تهمه إلا مصلحته الخاصة ..

.. إن الملاحظة الأولى والسريعة هى .. أن هذه الرسالة تتناقض تماماً مع ما قاله فى كتابه « عودة الوعى » من أنه كان فاقداً وعيه . لا يدرى ما يحدث حوله . لأن ناصر كان كالساحر الذى أعمى بصيرته . ولكننا نراه الآن يزعم أنه أراد أن يلفت نظر ناصر إلى الأزمة النفسية الشديدة التى تعانيها البلاد وإفهامه بوجود أزمة ثقة بحيث بات الناس لا يصدقون أى شىء يصدر عن الجهات الحكومية. وهذا يعنى أنه كان يدرك ويعلم تماماً بوجود أزمة ثقة بعد هزيمة

١٩٦٧ ، أى قبل وفاة ناصر بأكثر من ثلاث سنوات . وبطبيعة الحال ففى خلال هذه السنوات الثلاث ترامت إلى أذنيه أشياء أخرى كثيرة حول الأخطاء والسلبيات . أى أنه كان يدرك تماماً حقيقة ما يحدث . . فكيف يزعم أنه كان فاقد الوعى ؟ وكيف يزعم كذلك أنه استرد وعيه بعد وفاة ناصر ؟

كذلك يعترف الأستاذ توفيق الحكيم فى رسالته أن جريدة الأهرام كانت تناقش قضايا صعبة وتورد حقائق مؤلمة . . ذلك « أن جريدة الأهرام باستقلالها وبما فيها من أقلام حرة يثق بها الناس قد استطاعت وتستطيع دائماً أن تشيع فى النفوس الثقة والأمل ، وبهذا الاتجاه الذى سارت فيه فى طرح الحقائق — حتى المؤلم منها — ثم الإيحاء مع ذلك بروح التفاؤل بعيداً عن أى توجيه رسمى » .

. . ألا يتناقض ذلك مع الصورة المظلمة التى رسمها الحكيم لعهد ناصر من أنه كمم الأفواه ولم يسمح بأى نقاش ؟ وإذا كان الحكيم يعترف بأن الأهرام طرحت الحقائق وحتى المؤلم منها . ألم يكن ذلك كافياً لأن يعود إليه وعيه بشكل مبكر دون انتظار وفاة عبد الناصر ؟ . . وما الحكمة فى أن يظل فاقداً لوعيه برغم

الحقائق المؤلمة التى تنشرها الأهرام — التى يعمل بها — ثم يسترده بعد وفاة ناصر ؟

ثانياً : حينما فكر توفيق الحكيم أن يكتب لعبد الناصر ، ليقول له رأيه فقد اختار أن يتحدث عن شخص واحد ، هو هيكل، وضرورة بقائه رئيساً لتحرير الأهرام ، وعدم تعيينه وزيراً . . وكأن تعيين هيكل وزيراً وتركه منصبه فى الأهرام هو الطامة الكبرى التى ستحل بالبلاد ، وستؤدى إلى الخراب ، وكأن وجود هيكل رئيساً لتحرير الأهرام ضمانة لصلاح أحوال البلاد .

. . ومصائب البلاد وأخطاء النظام . . لماذا لم يتحدث عنها توفيق الحكيم ؟

. . لم تحركه الهزيمة التى منيت بها البلاد فى عام ١٩٦٧ أو تهز مشاعره الوطنية أو الإنسانية . . ! !

. . لم تحركه الأخبار التى نشرت علنا عن سقوط مراكز القوى — المشير عبد الحكيم عامر ورجاله — وما نشر عن الفظائع التى كانوا يرتكبونها ! !

. . لم يتحرك ضميره الاشتراكى إزاء ظهور الطبقة الجديدة واستغلال النفوذ على حساب العمال والفلاحين ! !

أيضاً — لم تحركه القيود التى كانت مفروضة على حرية العمل النقابى والسياسى والفكرى وممارسة أجهزة الأمن لسلطات لاتحدها حدود ! !

.. كل ما حدث لنا . وكل ما وقع من أخطاء .. وما واجهنا من مصاعب لم يحرك مشاعر توفيق الحكيم ، ولم يثر غضبه .. ولم يدفعه لأن يحتج أو حتى يكتب رسالة لعبد الناصر ليقول له رأيه ؟ بينما تعيين هيكل وزيراً هو الذى هزه فجعله يكتب رسالةلناصر ؟

.. وليطالب بماذا ؟

.. ببقاء هيكل رئيساً للتحرير ، وصرف النظر عن مسألة الوزارة ؟ ؟

.. أهذه هى البطولة التى يتفاخر بها ؟

ثالثاً : يشير الأستاذ توفيق الحكيم إلى وجود أزمة ثقة تجعل الناس لا تصدق ما تنشره أجهزة الإعلام . ويرى أن العلاج هو فى وجود الأقلام الحرة .. وهذا أمر صحيح .. ولكن ما هو العلاج الذى اقترحه الحكيم على عبد الناصر ؟ وما هى الديمقراطية التى طالب ناصر بها ؟

.. الحرية التى طالب بها هى حرية الأهرام وحده ، وعلاج الأزمة التى يعانى منها الرأى العام سيتم بواسطة الأهرام وكتابه ومقال بصراحة كل يوم جمعة لمحمد حسنين هيكل !!

.. ونحن نتساءل ...

يا سيدى .. لماذا لم تطالب بالحرية لكل الجرائد والمجلات الأخرى ؟

.. ولماذا لا تطالب بالحرية لجميع الصحفيين والكتاب ليقولوا ما يعرفون ويكتبون بحرية كما تطالب بذلك للأستاذ هيكل ؟

ولماذا لم تطالب عبد الناصر ، بالحرية لكل إنسان .. ولكل للمؤسسات النقابية والمهنية والطلابية ؟ .

.. إن الديمقراطية هى للأهرام وحده . ولكتابه ولرئيس تحريره .. أما باقى « خلق الله » فهم مخلوقات لا تستحق أن تتمتع بالحرية التى يتمتع بها كتاب الأهرام — للأسف الشديد — فإن الحكيم لم يتنبه إلى أنه يطالب بفاشية ، وليس بديمقراطية . لأن علاج أزمة الثقة . وكسب ثقة الرأى العام لايمكن أن تتم إلا بحرية الرأى

لكل الاتجاهات والقوى — لا بأن تقتصر هذه الحرية على جريدة واحدة فقط تنفرد بالأخبار والحقائق ، وينفرد كتابها وحدهم بحرية الكتابة .

رابعاً : . . والآن . بعدأن خرج هيكل من الأهرام ، ولم يعد يكتب مقاله الأسبوعى بصراحة . ماذا فعل توفيق الحكيم ؟

. . لقد كان جزاء هيكل كجزاء سنمار . . فحين بدأ الحكيم حملته ضد عبد الناصر أدلى هيكل بحديث لمجلة الصياد اللبنانية ، اعترض فيه على هجوم توفيق الحكيم على ناصر . وقال إن الناس لا تنتظر الموت لتقول رأيها . . فما كان من توفيق الحكيم إلا أن كتب مقالا ونشره فى « أخبار اليوم » هاجم فيه هيكل هجوما ضاريا واتهمه بأنه متاجر باسم عبد الناصر . وكرر هجومه على ناصر ، وكان من الأكرم أن يكتب ما يريده فى الأهرام التى يعمل بها . لا أن يهاجم هيكل من فوق صفحات « أخبار اليوم » التى تقود حملة خسيسة ضد هيكل لمصلحة مصطفى أمين .

. . وهكذا الوفاء عند توفيق الحكيم .

حين كان ناصر حياً وملء السمع والبصر كان الحكيم غائبا

عن وعيه . ومادحا له . وحين مات الرجل وبدأت ضده أحط وأنذل الحملات سارع ليغرس أنيابه فى جسده .

.. ونفس الموقف مع هيكل ..

حين كانت الدنيا مبتسمة له .. وكان فى موقع يستطيع منه أن يفيد ، بادر الحكيم بالخروج عن صمته وطالب عبد الناصر بإبقائه فى الأهرام ، وهو ما لم يفعله من أجل مصر . ومن أجل شعبها ومشا كلها وحين أدارت الدنيا وجهها عن هيكل ، بادر بطعنه لدى أشرس أعدائه ، لمجرد أنه توقع أن الدنيا التى أشاحت بوجهها عن هيكل ، استدارت مبتسمة لمصطفى وعلى أمين ..

.. ألا يعتبر هيكل أشرف وأشجع منه ألف مرة .. ؟

على الأقل . فهو قد طرح كثيراً من القضايا الصعبة إبان حياة ناصر . فى وقت آثر فيه الحكيم الصمت المطبق . ثم يقف الآن ليدافع بقوة عن عبد الناصر فى وقت أصبح فيه ناصر لا يفيد أحداً ، بينما ينقض الحكيم عليه هجوما وتجريحاً وتشهيراً ؟ .

ألا يعتبر أى شاب مغمور من الإخوان المسلمين .. أشرف وأشجع ألف مرة من توفيق الحكيم ؟

.. على الأقل ، لقد رفضوا مهادنة عبد الناصر ، واستمروا

يقاومون بتنظيماتهم السرية . ولم يمدحونه . أو يتملقونه .. صحيح أن ناصر أفضل وأشرف منهم ومن زعمائهم. ولكنهم ولأن لهم آراء مغايرة لآرائه مهما كانت خاطئة . تقبلوا برضا تام أن يدفعوا ثمناً فادحا لها . واليوم حين يهاجمون عبد الناصر بعد وفاته فلا لوم عليهم . لأنهم قاوموه فى عز مجده .

.. ألا يعتبر أى شيوعى أشرف وأشجع ألف مرة من توفيق الحكيم ؟

.. على الأقل . لقد سجنوا وعذبوا وقاسوا لأنه كانت لهم مواقف وآراء مغايرة لآراء ومواقف النظام . وحين مات ناصر . وقفت غالبيتهم تدافع عنه . ولو هاجموه لما لامهم أحد .

.. فأين توفيق الحكيم من هؤلاء جميعاً ؟

... فى ص ١١ — ١٢ ، يقول الحكيم : ـ

« وهكذا استمر التحقيق على هذه الصورة كما هو مبين فى وثائق التحقيقات الرسمية المنشورة فى هذا الكتاب . على قدر ما استطعت الحصول عليه وهى واضحة الدلالة على حقيقة الحكم البوليسى المسيطر على البلاد » .

.. من الواضح أن الحكيم قد اكتشف أن الحكم كان حكما

بوليسياً رهيباً وهذا الاكتشاف حدث فى شهر مايو (آيار) ١٩٧٠ ، ومن المفروض تبعاً لذلك أن يكون وعى الأستاذ قد عاد إليه قبل وفاة عبد الناصر . . ولكننا نرى توفيق الحكيم بعد وفاة ناصر يكتب كلمة رثاء فى الأهرام بتاريخ ١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٥ بعنوان تمثال لعبد الناصر . . جاء فيها :

« لقد دخل الحزن كل بيت تفجعاً عليك لأن كل بيت فيه قطعة منك . لأن كل فرد قد وضع من قلبه لبنة فى صرح بنائك . فأنت لم تكن بالزعيم المصنوع سلفاً فى مصنع السياسة تربصاً للفرص . . بل كنت بضعة من جوهر شعبك النفيس صاغها بيده فى دأب وحدب بعد طول معاناة وانتظار على مدى أحقاب . فإن يفقدك اليوم يفقد فيك نفسه وثمرة أمله » .

ويقول : « لقد جسد الشعب فيك صورة حريته لقد جعل منك حياً تمثل الحرية لنا »

ويقول : « وما أرخص المال إلى جانب فضلك يا جمال وخاصة فى أعياد العلم — على الأدباء والعلماء والمفكرين والفنانين ستبقى فى ذاكرتنا وأنت فى عليين »

بعد أن اكتشف الحكيم أن حكم ناصر لم يكن إلا حكماً

بوليسياً رهيباً ، لا يجد إلا عبارات الحرية ليتعى بها ناصر ! !

.. صحيح أنه لم يكن ممكناً أن يهاجم ناصر بعد موته . وصحيح أنه كان من الضرورى أن يتحدث عن بعض حسناته ، على الأقل ، عملا بالمثل « أذكروا محاسن موتاكم » ولكن ألم يكن من الأمانة حتى بينه وبين نفسه — أن يستخدم عبـــارات فى الرثاء غير هذه العبارات التى تتناقض مع بوليسية النظام التى اكتشفها وخبرها بنفسه؟؟

٢ - التزوير فى الوثائق

يقول الأستاذ توفيق الحكيم فى ص ٥ : ـ

« لما كان كتابى « عودة الوعى » هو فى الأصل انطباعات وتساؤلات ودعوة إلى فتح الملفات لمعرفة الحقيقة عن فترة من تاريخ بلادنا ، فإن هذا الكتاب هو خطوة فى طريق عودة الوعى إلى الأمة بمعرفة شىء من الحقيقة التى حجبت عن كثير من الناس وذلك من واقع وثائق رسمية فمن استطاع الحصول على وثيقة من الوثائق هو الذى يستطيع أن يسهم بالفعل لا بالكلام فى إلقاء الضوء على فترات التاريخ ، فما وعى الأمة إلا تاريخها المتصل الواضح لأن التاريخ هو ذاكرة الأمة ومن يفقد ذاكرته يفقد وعيه وحصيلة الذاكرة صفحات الماضى والحاضر بما فى هذه الصفحات من وقائع وحقائق فإذا كانت بعض هذه الصفحات مبتورة أو مستورة فإن ذاكرة الأمة تصبح هى الأخرى وقد بترت وسترت فتعيش الأمة بغير وعيها الكامل وها هى ذى صفحة منسية ووثيقة مطوية لها دلالتها ولها فائدتها فى توضيح

بعض الأمور والمواقف أنها رسالة طويلة إلى عبدالناصر ثم التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة حول هذه الرسالة » .

لا جدال فى أن توفيق الحكيم يقدم لوثيقته تقديماً جميلا ومنطقيا فى نفس الوقت فلا أعتقد أن هناك إنسانا يستطيع أن يختلف معه فيما قاله حول أهمية الوثائق وضرورة نشرها حتى يعلم الناس خبايا الأمور وكيف كانت تساس أمورهم من قبل حكامهم ..

وصحيح ما يقوله الحكيم من أن التاريخ هو ذاكرة الأمة ومن يفقد ذاكرته يفقد وعيه ، وصحيح أن حصيلة الذاكرة صفحات الماضى والحاضر بما فيها من وقائع وحقائق ، وصحيح كذلك أن هذه الصفحات لو بترت أو سترت فإن ذاكرة الأمة تصبح هى الأخرى وقد بترت وسترت فتعيش بغير وعيها الكامل ..

وهذه جريمة كبرى أن يعيش شعب بغير وعيه وبغير ذاكرته .. جريمة أن نحرم من الوثائق أو يخفى أمرها على الناس . وجريمة أن تضيع الوثائق فلا نعرف تاريخنا .

ولكن .. لو قام أحد الأشخاص ببتر الوثائق وتشويهها واللعب بها والحذف منها ثم تقديمها للناس وقد بترت وشوهت وحذفت منها أجزاء . فبأى وصف أو أوصاف يمكن أن نصفه ؟؟

.. إننا نترك للقارىء مهمة الحكم على مثل هذا الشخص ونعته بالنعوت والأوصاف التى يستحقها ، ولكننا لا نختلف حول وصف مثل هذا الشخص بعدم الأمانة فى عرض الوثائق التى حصل عليها ولقد فعل الأستاذ توفيق الحكيم عملا كهذا ! .

فبعد هذه المقدمة الرائعة عن أهمية وثيقته سرعان ما نكتشف أن يد الحذف قد فعلت فيها فعلها ، ومن الأمور المثيرة للدهشة أن توفيق الحكيم هو الذى بادر بالكشف عن فعلته تلك . .

.. ففى ص ١٨ نجد العنوان الآتى لأهم فصول الكتاب « من محاضر التحقيق »

.. أى أنه سينشر النص الكامل والأمين لعدد من محاضر التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة مع كل من لطفى الخولى ونوال المحلاوى وزوجها عطية البندارى . وهذه التحقيقات هى الوثيقة الهامة التى يقدمها توفيق الحكيم ويرى أنها جزء من ذاكرة الأمة ، ولكننا سرعان ما نصدم حينما نقرأ فى هامش نفس الصفحة مايلى :

« يجد القارىء الصور الزنكوغرافية لهذه الصفحات المأخوذة من ملف التحقيق على ص ١٠٩ ونرجو أن يلاحظ القارىء أن هذه

الصفحات ليست متصلة احيانا وإنما اقتصرنا منها على ما يفيد موضوع الـكتاب فقط » .

إذن فهناك صفحات كاملة من التحقيق أسقطها توفيق الحـكيم عن عمد . عفوا . . نقصـد صفحات كامـلة من الوثيقة ، وكان من الضرورى ألا يفعل ذلك ، فنحن لا نعرف ماذا بها وما هى الأسئلة التى وجهتها النيـابة وما هى الأجوبة التى قيلت رداً عليها وقد يرى الحـكيم أن هذه الصفحات من الوثيقة غير هامة بينما قد يراها القراء والباحثون شديدة الأهمية وتلقى أضواء على كثير من القضايا والمشاكل أما أن يعمد الحـكيم إلى خدمة كتابه فقط والإضرار بذاكرة الأمة ووعيها فهذا أمر معيب . .

. . إن السؤال البديهى الذى قد يسأله القارىء له . . وذاكرة الأمة يا أستاذ ألا يؤدى عملك هذا إلى بتر أجزاء منها وستر أجزاء ؟ وأين أمانة المؤرخ إذن ؟

. . هناك سؤال ثان .

. . ما الذى يدرينا أن الحكيم لو سار فى طريق الأمانة ونشر النص الـكامل لوثيقته أن الوضع سيختلف تماما ، أى أننا سنفاجأ مثلا بأشياء تـكذب إدعاءاته ؟

.. وسؤال ثالث .

.. ما الذى يدرينا أن التحقيقات لم تكن بسبب رسالته وإنما جاءت عرضا وبحيث نكتشف أنه أسبغ من البداية أهمية كبرى على رسالته وأنها لم تثر غضب عبد الناصر كما أدعى وبالتالى فهو ينسب لنفسه بطولة فى غير موضعها ليحيط نفسه بهالة لا يستحقها ؟

.. وسؤال رابع .

ولو اتضح لنا أن التحقيقات لم تكن أصلا بسبب رسالته المزعومة وأن الرواية الأصلية هى غير ما ذكر ، فلماذا يلجأ للكذب وهو شيخ عال المكانة ؟

وأياما كان الأمر فإن هناك حقيقة دامغة ، وهى أن توفيق الحكيم قد لجأ إلى الحذف والبتر والستر فى إحدى الوثائق وأخفى عن القارىء ما بها وهذه مسألة معيبة لشيخ فى مثل سنه ومكانته ، ولا ندرى مغزى ندائه للناس بأن من يعثر على وثيقة فعليه أن يقدمها خدمة للأمة .. أقول لا ندرى إن كان يعنى أن على الناس أن تزور وتبتر وتستر ما تحت أيديها من وثائق كما فعل هو أم تنشر الوثائق كما هى لينفرد هو بعملية البتر والستر وليظل وحده الذى يملك حق التعلل بفقدان الوعى ؟

٣ - الرسالة والأشرطة والتسجيل

.. يبدو أننا سنجد أنفسنا مرغمين على أن نطلب من القارىء التحلى بالصبر إلى حد ما وهو يقرأ هذا الجزء من الكتاب ذلك أنه قد يكون مملا وجافاً وبه كثير من التكرار والإعادة لأنه أقرب إلى التحقيق ومن المعروف أن التحقيقات لا تخلو من التكرار والإلحاح لأن المحقق غالباً ما يتعمد استعراض ذكائه وخبثه وقد ينتهى الأمر بأن ينجح فى إثبات ذلك أو يتضح أنه محقق ممل وسخيف يملأ صفحات كثيرة عن أشياء لا تستحق ولا هم له إلا محاولة محاصرة متهم برىء واستعراض عضلاته عليه .

.. وعلى كل حال فسواء اتضح أننا كالمحقق الخبيث أو السخيف فإن الأمر يتطلب الصبر إلى حد ما لأن النقطة المحورية والأساسية للموضوع كله تكمن فيه وبالتالى فهو يستحق أن نكون من الخبثاء أو السخفاء .

.. لا جدال فى أن لجوء الأستاذ توفيق الحكيم إلى عدم نشر

الكثير من صفحات التحقيقات يعنى بالضرورة أنه يخشى من افتضاح أمر رسالته لعبد الناصر وحقيقة أهميتها والهالة التى يحاول أن يحيطها بها .. فإذا كان عبد الناصر قد غضب غضباً شديداً من هذه الرسالة واتخذ هذه الإجراءات العنيفة والقاسية وأمر باعتقال لطفى الخولى وزوجته ونوال المحلاوى وزوجها والتحقيق معهم وفصلهم من أعمالهم وسجنهم . أقول لو كان ما فعله عبد الناصر بسبب رسالة توفيق الحكيم لكان علينا أن نستنكر هذا بشدة وأن ندينه ويستحق عبد الناصر أن نهاجمه بمرارة وعنف ، ذلك أنه ليس متصوراً أن يعامل الناس بمثل هذه الطريقة المهينة والمتعجرفة والتى تتسم بالفظاظة .

فما هى الجريمة أو الخيانة أو المؤامرة التى ارتكبها هؤلاء الناس فى حق عبد الناصر وحق بلادهم بحيث هوى فوق رؤوسهم هذا العقاب القاسى ؟

أبسبب رسالة كتبها توفيق الحكيم يرجو فيها الرئيس أن يبقى على هيكل رئيساً لتحرير الأهرام ولا يعينه وزيراً ؟

أبسبب رسالة لم يجرؤ كاتبها لأن يتعرض لأى أمر من أمور البلاد ولم يتقدم بمطالب سياسية ولم ينتقد الأخطاء ؟

ولنفرض جدلا أن هذا حدث مثلما يروى توفيق الحكيم فهل يعقل أن لا يعتقل كاتب الرسالة ويترك حراً طليقاً بينما يعتقل غيره من الأبرياء الذين لم يكتبوا شيئاً ولم يوقعوا على الرسالة ؟

.. وهل كان هيكل بقربه الشديد من ناصر ونفوذه لديه بحاجة إلى أن يستعين بوساطة توفيق الحكيم أو غيره ؟

.. إن ذلك كله أمر أشبه بالأساطير ولأنه ليست هناك أساطير على الأقل فى مثل هذه المواقف فإن الأمر يبدو ملفقاً غاية التلفيق وبه حلقات مفقودة ومبتورة ومستورة .

يقول الحكيم عن الأسباب التى دفعته إلى كتابة الرسالة إلى عبد الناصر أنها بمناسبة تعيين الأستاذ هيكل وزيراً للارشاد ونقله بذلك من مجال القلم إلى كرسى السلطة وأردت أنا أن أجعل من هذه المناسبة وسيلة لإفهام الرئيس عبد الناصر أن البلاد وهى تعانى أزمة نفسية شديدة بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبحت لا تصدق ما يصدر عن الجهات الحكومية لأن أزمتنا هى أزمة ثقة ولذلك فإن الأقلام الحرة المستقلة هى وحدها التى تستطيع أن تعالج نفسية الرأى العام ولكن هذه الرسالة أصبحت موضع تحقيقات كما هو مبين فى ملفات التحقيق الرسمية هذه .

.. وأنه بعد أن كتب هذه الرسالة قام هيكل بتسليمها إلى السيد/ حاتم صادق زوج السيدة هدى كريمة الرئيس عبد الناصر والذى يعمل مشرفاً على مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام ليقوم بتسليمها إلى عبد الناصر وقد فعل ذلك .

وإذا كان الأستاذ توفيق الحكيم قد نشر محاضر التحقيقات واعتبرها وثيقة هامة فإنه فى حقيقة الأمر قد زاد الأمر غموضاً واضطراباً كما أنه يجعل عملية التحقق من صحة إدعاءاته مسألة صعبة حتى استناداً على الوثائق التى ذكرها .

فى الكتاب وعلى صفحتى ٦ ، ٧ أورد الحكيم الآتى نقلا عن التحقيقات .. قال : —

« ثم سأل المحقق بعد ذلك لطفى الخولى عما إذا كان سمع أو علم » أن السيد توفيق الحكيم أرسل هذا الخطاب إلى السيد الرئيس — عرضنا عليه صورة الخطاب — فأجاب بما نصه فى التحقيق صفحة ٥٦ .

« اطلعت على هذا الخطاب الآن وأقرر أن هذه أول مرة أرى فيها هذا الخطاب فلم يحدث أن عرضه على الأستاذ توفيق الحكيم من قبل وأنا أقرر أن الأستاذ توفيق الحكيم كان قد أبلغنى برغبته فى

كتابة خطاب للرئيس وطلب منى مستحلفاً أن لا أذكر ذلك لأحد وهذا هو كل ما لى من علاقة بهذا الخطاب واللى أذكره على وجه التحديد أن السيد/ توفيق الحكيم قال لى أنه عايز يوصل رأيه إلى سيادة الرئيس (صفحة ٥٧) ولم يحدد لى الطريقة بدقة ولا أذكر أنه قال لى الطريقة اللى عايز يوصل رأيه بها إلى السيد الرئيس وأنا قلت له إذا كان هذا فيمكن بخطاب أو بمقابلة إذا أمكنك تحديد ميعاد ولكنه لم يحدثنى عن ما سيكتبه فى الخطاب » .

.. يقول الحكيم فى ص ٧ نقلا عن التحقيق مع لطفى الخولى :

« ثم سأل المحقق (ص ٥٩) هل عرض عليك السيد/ توفيق الحكيم مضمون هذه الرسالة أو الأفكار التى تضمنتها » فأجاب لطفى الخولى (ص ٦٠) لا ولكن أنا خمنت أنها آراؤه والتى سبق أن ذكرها « وسأله المحقق » ألم يكتب السيد توفيق الحكيم هذه الرسالة فى حضورك « ثم » ألم تطلع عليها قبل إرسالها فأجاب بالنفى » .

.. فى (ص ٨) أورد الحكيم نقلا عن محاضر التحقيقات مع لطفى الخولى :ـ

« ثم سأله المحقق (فى صفحة ٦٣ و ٦٤) عمن طلب منه عدم

ذكر موضوع الرسالة : فأجاب بما نصـه : « أظن توفيق الحكيم باعتبار أنه مش مقرر أنه يرسل الرسالة من عدمه على أساس أنها كانت مجرد رغبة منه » وعاد المحقق فسأله : « تقرر أنك تظن أن الذى ذكر لك ذلك هو السيد / توفيق الحكيم فهل يفهم من هذا أنه من الجائز أن يكون شخصاً آخر هو الذى طلب منك عدم إذاعة إرسال هذه الرسالة . فأجاب لطفى الخولى « أعتقد أن اللى قال لى هو توفيق الحكيم وبالفعل نفذت طلبه » .

.. أورد الحكيم فى كتابه نقلا عن محاضر التحقيق مع لطفى الخولى فى ص ٩ — ١٠ ما يلى على لسان لطفى : —

« اطلعت على الخطاب الآن وأقرر أن ما ورد فى هذا الخطاب هو تحليل شخصى للسيد / توفيق الحكيم لم يأخذ رأيى فيه (صفحة ٧١ من التحقيق) وإنما هو تحدث معى فقط فى أمر مبدأ إرسال خطاب إلى السيد / الرئيس يتضمن كيفية مراعاة الوضع فى الأهرام بعد تعيين السيد هيكل وزيراً للارشاد كى يستمر الأهرام فى أداء دوره بالنسبة للبلد وللمعركة فى الداخل والخارج وأنه يضع هذا الرأى تحت نظر السيد الرئيس » .

.. من الواضح حسب كلام الحكيم الآن أن لطفى الخولى كان

يعلم مسبقاً بنية توفيق الحكيم لإرسال خطاب لعبد الناصر حول تعيين هيكل وزيراً ولكنه أنكر أنه اطلع على الرسالة فى التحقيقات .

ومن الواضح حسب كلام الحكيم أيضاً أنه قرر إرسال الخطاب إلى عبد الناصر وليكون مناسبة فى نفس الوقت لإفهامه حالة التمزق التى يعانى منها الشعب وفقدانه للثقة فيما تقوله الأجهزة الحكومية ولكننا سرعان ما نصاب بالدهشة والحيرة من تخبط أقوال توفيق الحكيم نفسه . فبعد أن صدر كتابه بحوالى شهرين نشرت مجلة الفجر[1] التى تصدر فى « الدوحة عاصمة قطر » حديثاً لتوفيق الحكيم حول كتابه ورسالته لناصر أدلى فيه بتفاصيل جديدة ألقت بدورها بظلال من الشكوك عن الموقف . . وصدرت المجلة بتاريخ ١٩ يوليو (تموز) ١٩٧٥ ونشر الحديث على صفحتى ٤٤ — ٤٥ ولم يوقع عليه الصحفى الذى أجراه وإن كان المعروف أنه أحد المصريين الذين يراسلون المجلة .

يقول كاتب التحقيق نقلا عن حكاية رواها الحكيم : —

« كانت الخصومة قد احتدمت بين محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام وعلى صبرى أمين عام الاتحاد الاشتراكى حتى لقد

---

(١) يرأس تحريرها السيد / حلمى سلام وهو صحفى مصرى .

نشر هيكل فى الصفحة الأولى من الأهرام خبر تفتيش حقائب على صبرى عند عودته من الخارج وكانت أكثر من عشرين حقيبة تحتوى كميات هائلة من ملابس النساء الداخلية والهدايا الثمينة ، لكن على صبرى مالبث أن نجح فى استعادة حظوته لدى عبدالناصر واستطاع إقناعه بتنحية هيكل عن رئاسة تحرير الأهرام على أن يعهد إليه بمنصب وزارى على طريقة التصعيد إلى أعلى التى كانت معروفة ومستخدمة كثيراً فى ذلك الوقت ، وعلم هيكل بالأمر فأسرع إلى توفيق الحكيم وطلب منه أن يقابل الرئيس ويحاول إقناعه بعدم تنحيته من منصبه فى الأهرام ! ! وأكد له أن الرئيس سوف يستجيب له لأنه يقدره ويحترم رأيه ولكن توفيق الحكيم رفض لأنه لا يحب السعى لمقابلة الحكام وبعد إلحاح من هيكل قبل توفيق الحكيم أن يكتب رسالة إلى عبد الناصر يضمنها رأيه فى أن المصلحة تقتضى بقاء هيكل فى رئاسة تحرير الأهرام وأخرج على حمدى الجمال رئيس تحرير الأهرام الآن وكان وقتها مدير التحرير قلما ذهبيا وأعطاه لتوفيق الحكيم وفتح له هيكل باب حجرة صغيرة ملحقة بمكتبه وتركه وحده ليكتب رسالته إلى عبد الناصر » .

.. وبعد أن نشر كاتب التحقيق نص رسالة توفيق الحكيم قال .. ويقول توفيق الحكيم : —

« بعد أن انتهيت من كتابة الرسالة وجدت عند هيكل « حاتم صادق » زوج كريمة الرئيس الراحل وكان هيكل قد عينه فى الأهرام هو وقرينته : وقال هيكل :

— هذا هو البوسطجى الذى سيحمل رسالتك إلى الرئيس ثم سلم الرسالة لسكرتيرته « نوال المحلاوى » لكى تضعها فى مظروف مناسب فخرجت وغابت قليلا قبل أن تعود بالرسالة وعلمت فيما بعد أنها صورتها . . وفى مساء ذلك اليوم زارت سكرتيرة هيكل وزوجها عطية البندارى الضابط السابق بالقوات المسلحة الصحفى المعروف لطفى الخولى ودار حديثهم حول رسالة توفيق الحكيم للرئيس وحصلت مخابرات أمن الدولة بوسائلها الخاصة على تسجيل لما دار خلال هذه الزيارة وقبضت على المتحدثين جميعاً وقدمتهم لنيابة أمن الدولة بتهمة التخابر مع جهات أجنبية أو هذا على الأقل ما نشرته الصحف أيامها . . واستمر التحقيق معهم واعتقالهم بضعة أشهر قبل أن ينجح هيكل بكل ثقله فى الإفراج عنهم » .

. . يبدو واضحاً وجود تناقضات عديدة بين ما جاء بكتاب الحكيم الذى يقول إنه يعتمد على وثائق وبين ما جاء بروايته لمجلة الفجر وهى رواية تالية لصدور الكتاب . .

ولعل السؤال الساذج الذى يتبادر إلى الذهن هو : —

.. لماذا لم ينشر توفيق الحكيم فى كتابه هذه المعلومات التى وردت فى الحديث ؟

.. أم أن وعيه كان غائباً عن هذه المعلومات حينما كان يكتب الكتاب وسرعان ما استرده بعد نشره وتذكر الحقائق المنسية ؟

على كل حال . فإن علينا أن نتوقف عن إبداء الملاحظات أو الأسئلة الساخرة التى نحاول أن نبدو فيها ظرفاء لأننا فى حاجة إلى الجدية ولسنا فى حاجة إلى الظرف أو افتعال خفة الدم .

.. ورواية الحكيم فى مجلة الفجر تتناقض تماما مع روايته فى الكتاب وهى الرواية التى تستند إلى الوثائق ..

١ — ففى الكتاب يقول إنه كتب الرسالة إلى الرئيس بدوافع عدة منها رغبته فى إبقاء هيكل فى الأهرام لأن فى ذلك فائدة ولأنه أراد استغلال الرسالة لكى يشرح برفق حالة البلاد ويعتبر الحكيم هذه الرسالة عملا من أعمال البطولة ويعتبرها وثيقة يفحم بها أولئك الثرثارين الذين لا يملون من سؤاله .

وأين كنت إذاً ؟ ولماذا لم تقل له رأيك وهو حى ؟

.. فبينما نراه فى حديثه للمجلة يذكر دوافع أخرى فهو يذكر أنه كتب الرسالة تحت إلحاح هيكل الذى كان مذعوراً غاية الذعر ومضطرباً أشد الاضطراب لأنه خشى أن يكون تعيينه وزيراً مقدمة للتخلص منه نهائياً وقد اضطر الحكيم أن يكتب الرسالة تحت هذا الإلحاح الشديد من جانب هيكل . أى لو لم يلح عليه هيكل ويستعطفه لما كتب الرسالة أبداً ! !

٢ — فى التحقيق مع لطفى الخولى نرى أن الحكيم قد فاتحه فى أمر الرسالة قبل أن يكتبها وطلب منه عدم ذكر شىء وفى حديثه للمجلة يذكر أن الرسالة قد كتبت على عجل فى مكتب هيكل فقد تم إحضاره وطلب منه هيكل أن يكتب الرسالة وكتبها على عجل وسلمت لحاتم صادق ليوصلها فى نفس اليوم إلى عبد الناصر والذين كانوا حاضرين هم هيكل وحاتم صادق ونوال المحلاوى والحكيم وعلى حمدى الجمال ولم يكن لطفى الخولى حاضراً لأنه كان مريضاً وملازماً للفراش فى بيته ولم يعرف بأمر الرسالة إلا مساء نفس اليوم بعد أن أرسلها حاتم صادق لعبد الناصر من نوال المحلاوى التى زارته فى نفس اليوم مع زوجها عطية البندارى وأخبرته بأمر الرسالة ! !

٣ — لم يرد فى الكتاب أى ذكر لعلى حمدى الجمال بينما ورد فى الحديث إسمه وكان واضحاً من الحديث أنه كان محبذاً هو الآخر للرسالة بل ومحرضاً الحكيم على إرسالها بدليل أنه قد أخرج قلمه الذهبي وأعطاه له ليكتب به .

. . فلماذا لم يتم القبض عليه هو الآخر ويتم التحقيق معه وفصله وسجنه أسوة بزميله لطفى الخولى رغم أنه لم يكن حاضراً ولم يكن محرضاً — وأسوة بزميلته نوال المحلاوى التى كانت معه فى نفس الغرفة ؟ وهذه مسألة هامة فإذا كان الحكيم يزعم أنه لولا الحياء لكبر سنه لقبض عليه هو الآخر مع لطفى الخولى ونوال المحلاوى . . فهل أفلت على حمدى الجمال من القبض عليه نظراً لكبر سنه ؟

. . لا أعتقد أن عدد سنوات العمر هى السبب لأن على حمدى الجمال ليس عجوزاً وليس شيخاً وإنما يتقارب فى السن مع لطفى الخولى ! !

٤ — إذا كانت كل هذه التحقيقات بسبب رسالة يطلب فيها توفيق الحكيم من ناصر الإبقاء على هيكل . . وإذا كانت الرسالة قد أغضبت عبدالناصر غضباً جماً وأنه ضاق بها ذرعا مما يعتبره الحكيم دليلا على بوليسية ناصر وديكتاتوريته المروعة التى تجعله لا يطيق

سماع أى كلمة ولو كانت رقيقة ومن شخص يحبه كالحكيم . .
لو كان ذلك صحيحاً ثم نظرنا إلى النتائج لكانت الصورة تدعو إلى العجب ، ذلك أن هيكل عين وزيراً وفى نفس الوقت استمر فى مكانه بالأهرام كما كان رئيساً لمجلس الإدارة — ورئيساً للتحرير — ولم يتزحزح عن منصبه لمدة دقيقة واحدة ، أى أن ناصر قد أخذ بنصيحة توفيق الحكيم وتقبل ما بها من مطالب خاصة بهيكل وبقائه بالأهرام ونزل عند رغبته وهذا يعتبر تكريماً شديداً من الرئيس للحكيم كما أنه دليل على عدم غضبه من الرسالة بدليل أنه استجاب لها .. فما هو الداعى لأن يصب غضبه على لطفى الخولى ونوال المحلاوى ؟

. . علينا أن نخطو الآن خطوة أوسع لعلها تقترب بنا أكثر من الصورة الحقيقية .

. . على الرغم من وجود تناقضات شديدة بين ما ذكره الحكيم فى كتابه وبين ما ذكره فى حديثه لمجلة الفجر فإن نقطة الاتفاق التى لم يستطع إنكارها أو محوها فى الكتاب هى التسجيلات والأشرطة التى كانت موضوعة فى منزل لطفى الخولى .

. . وقد ورد فى محاضر التحقيقات إشارات كثيرة عن الشرائط والتسجيلات وتفريغها ففى صفحة ٢١ جاء فى التحقيقات مع عطية

البنداری تحت كلمة ملحوظة :

« طلبنا من المختص إدارة التسجيل على التفريغ الوارد فى صفحة ١٢ من تفريغ إدارة المباحث العامة الذى دار الحديث بين الأربعة المجتمعين عن السيد الرئيس والذى ورد فيه رأى خالد بالنسبة لقبول الأستاذ حسنين هيكل الوزارة والأسباب التى دعت إلى أن يكتب الأستاذ توفيق الحكيم بالذات خطابه للسيد الرئيس وقد تم إدارة الشريط على ما ورد بصفحتى ١٢ ، ١٣ والجزء الأول من صفحة ١٤ وأقر المتهم بأن هذا الحديث جرى بالفعل على لسان الأربعة السابق بيانهم وأن الذى قصده لطفى الخولى بخالد هو السيد خالد محيي الدين.

— تمت الملحوظة .

وفى صفحة ٢٢ فى التحقيق مع عطية البندارى . سؤال من المحقق يقول فيه :

س : ورد بالحديث المسجل على لسان لطفى الخولى أن الأستاذ توفيق الحكيم أختير لكتابة الرسالة لظروفه الخاصة . . الخ .

وسؤال آخر من المحقق :

. . ص ٢٣ . . سؤال

ورد فى التسجيل صفحة ١٦ . . الخ .

وسؤال فى نفس الصفحة :

ورد فى التسجيل على لسانك فى صفحة ٢٣ . . الخ . فى صفحة ٢٨ كتب رئيس النيابة بعد التحقيق مع اطفى الخولى :

« وأقفل المحضر على ذلك عقب إثبات ما تقدم حيث كانت الساعة ١٢٫٥٥ صباح يوم ١٣/٥/١٩٧٠ وقررنا ما يأتى :

أولا : حبس المتهم أحمد لطفى الخولى حبساً مطلقاً على ذمة القضية ويودع بسجن القناطر للرجال .

ثانياً : ندب السيد رئيس القسم الفنى بإدارة المباحث العامة لتفريغ شريط التسجيل المقدم من هيئة الأمن القومى وينبه عليه بالحضور الساعة ٩ صباحا لحلف اليمين واستلام الشريط وتعرض » .

ـ وفى صفحة ٤٢ بعد الانتهاء من التحقيق مع لطفى الخولى فى إحدى المرات كتب رئيس النيابة الملحوظة التالية :

« كلفنا الرائد محمد حسن اسماعيل بالقسم الفنى بإدارة المباحث العامة لإحضار جهاز تسجيل فأحضر جهـاز تسجيل داخل غرفة التحقيق وقمنا بفض حرز الشريط المسجل وسلمناه إليه وطلبنا منه إدارة الجهاز على ما جاء بالصحيفة ٢٥ من تفريغ إدارة المباحث العامة على لسان نوال المحلاوى واقعة قراءتها الخطاب وتصويرها له وبعد

أن استمعنا إلى الحديث السالف وثبت أنه يطابق ما ورد بالتفريغ سألنا المتهم عما إذا كان الصوت الذى سمعه خاصاً بنوال المحلاوى فقرر أنه لا يستطيع أن يقطع لأن الصوت غير واضح ولست خبيراً بالأصوات ولا أدرى ما موضوع هذا التسجيل وطبيعته ومشروعيته القانونية » .

. . هذا ما ورد فى الأجزاء التى نشرها الحكيم فى كتابه عن التحقيقات والتى تشير بشكل واضح على وجود أجهزة تسجيل فى منزل لطفى الخولى .

وفى الحديث الذى نشر بمجلة الفجر جاء عن التسجيلات ما يلى :

وحصلت مخابرات أمن الدولة بوسائلها الخاصة على تسجيل لما دار خلال هذه الزيارة » .

— إذاً . فهناك حقيقة أساسية ثابتة وهى أن التحقيقات التى أجريت استندت أساساً على وجود أشرطة تسجيل تم دسها فى منزل لطفى الخولى ، وقد تم الحديث عن رسالة توفيق الحكيم فى منزل لطفى الخولى بينه وبين نوال المحلاوى وزوجها عطية البندارى ، وبطبيعة الحال فإن التسجيلات موضوعة فى منزل لطفى من مدة ، أى قبل أن يفكر الحكيم فى كتابة الرسالة ، وطبيعى أيضاً أنه تم

تسجيل كل ما كان يدور من أحاديث فى منزل لطفى الخولى بينه وبين زواره ، وبالتالى فتسجيل الحوار حول الرسالة جاء مصادفة لأن هناك أجهزة تسجل كل كلمة موضوعة منذ مدة .

وأما الحقيقة الثانيـــة التى تهز إدعاءات الحكيم حول أهمية الرسالة وعما إذا كانت هى أساس العملية ما ورد فى الـكتاب ض ٢٨ إذ كتب رئيس النيابة بعد التحقيق مع لطفى الخولى :

« وأقفل المحضر على ذلك عقب إثبات ما تقدم حيث كانت الساعة ١٢٫٥٥ صباح يوم ١٣/٥/١٩٧٠ وقررنا ما يأتى :

أولا : حبس المتهم أحمد الخولى حبساً مطلقاً على ذمة القضية ويودع بسجن القناطر للرجال أن لطفى الخولى تم سجنه بسبب وجود قضية، ولم يتم سجنه بسبب رسالة الحكيم ولعل هذا أبلغ دليل يدحض أى إدعاءات بالبطولة لتوفيق الحكيم حول أهمية رسالته وقيمتها وهذا يعنى ببساطة شديدة أن الضجة التى يثيرها هى ضجـــة مفتعلة لأن التحقيقات لم تـكن بسببها على الإطلاق .. وأن النيابة رأت أن هناك قضية أخرى ، هى التى تتم بسببها التحقيقات .

.. ولهذا فلقد عمد توفيق الحـكيم إلى إسقاط صفحات التحقيق وبترها وسترها حتى يوهمنا بأن رسالته كانت المحور الأساسى للتحقيقات

وبسببها حدث ما حدث للطفى الخولى وزوجته ، ولنوال المحلاوى وزوجها . ولولا الحياء لكبر سنه لفعلوا به كما فعلوا بالباقين . وهذا أمر غير صحيح بالمرة . والأمر كله مجرد إدعاءات من توفيق الحكيم لاصطناع بطولات وهمية ، أدت به إلى الوقوع فى كثير من التناقضات، وألجأته إلى تشويه الحقائق ولويها بطريقة متعسفة ومستهجنة ، ولقد كان من الممكن أن يكون فى غنى عن كل هذا فيما لو كف عن محاولاته المتعمدة لتشويه وتجريح عبد الناصر مسايرة للهجوم الرجعى . ولرغبته فى أن يمتطى الموجة الرجعية دون أن يلبس قناعها بشكل سافر !!

.. ومن السهل على أى قارىء لكتاب الحكيم أن يكتشف إلى أى حد « مزرى » وصلت يد التشويه فى نشر التحقيقات ، مما يسبب الإرتباك حتى للقارىء نفسه .

.. فابتداء من صفحة ١٨ ، وتحت عنوان « من محاضر التحقيق» « محضر آخر » — يأتى الحكيم بأحد محاضر التحقيق مع السيد / عطية البندارى بتاريخ الأحـــد ١٧/٥/١٩٧٠ ، الساعة ١٢ ظهراً بإدارة المباحث العامة .. ويستمر حتى النصف الثانى من ص ٢٥ . فنقرأ الآتى :

س: وما دخل زوجتك فى هذا الأمر ــ على ماقررت ــ فيما تذكر .

فيجيب عطية البندارى : هى ملهاش دخل فى العملية ، إنما بحكم صلتها فى العمل مع الأستاذ هيكل بتتأثر طبعاً بما يحدث له وأعتقد فى خلال الأزمة دى فى مايو كان عاوزها تنقل بعض أوراقه الخاصة من المكتب .

.. ومن الطبيعى أن نقرأ سؤالا آخر من المحقق وإجابة عليه من السيد / عطيه البندارى ، أو نقرأ عبارة « تمت أقواله » وينتهى التحقيق ويوقع على المحضر .. ولكننا نفاجأ بالآتى : —

(ج) أحب أن أقول إننى أصبحت أواجه بمثل ـ وأنا آسف ـ هذه الاتهامات التى تشبه الحواديت والتى تثير الأسى فى نفس إنسان يعتقد أنه يعمل لصالح بلده ووطنه وقيادته وعمله وأنه كما كان ضد ، كان ضد ولما أصبح مع ، أصبح مع ولم أخف فى يوم من الأيام لا فى المناقشات ولا الاتصالات ، آرائى التى أعتقد أنها صادرة عن إيمان بالوطن وتخدم القضية أما أن يصل الأمر الآن ليس فقط إلى ، بل أيضاً إلى زوجتى فلا أدرى ماذا أقول حقيقة .

تمت أقواله ووقع	رئيس النيابة
أحمد لطفى الخولى	التوقيع

.. وهذه مسألة مهينة للقارىء ولمؤلف الكتاب معاً ، لأننا لم

نعرف بقية الأسئلة التي وجهها المحقق إلى عطية البندارى وإجاباته عنها . وحتى إجابة لطفى الخولى لم نعرف السؤال الذى وجهه إليه المحقق وكانت رداً عليه . .

— وهكذا . .

سؤال للبندارى وإجابة منه على السؤال ، يليها إجابة من لطفى الخولى ، دون أن نعرف السؤال . ثم يوقع لطفى الخولى على المحضر الذى كان كل التحقيق فيه مع البندارى ! !

. . نفس المهزلة تتكرر فى ص ٢٨ إذ نقرأ الآتى . —

« فتح المحضر يوم الأربعاء ١٣ / ٥ / ١٩٧٠ الساعة ١١ صباحاً بمكتب النائب العام بالهيئة السابقة » .

ثم نفاجأ بثلاثة أسطر . . مملوءة بالنقط كالآتى : —

. . . .

. . . .

. . . .

ويلى هذه الأسطر مباشرة ما يلى : —

« هذا الرأى وسيقال أننى لا أعمل فى الأهرام إلا مع الأستاذ

هيكل وكان ردى أنه بالمنطق إذا جاء رئيس تحرير آخر غير الأستاذ هيكل فمن غير المعقول أنه يعمل مع نفس الطاقم الذى كان يعمل معه رئيس التحرير السابق وأنه لا داعى لإحراج نفسى أو إحراج أى شخص .

س : وما قولك فيما قرره عطية البندارى بعد أن استمع إلى شريط التسجيل أن الحديث الذى استمع إليه خاص به وبلطفى الخولى وأنت وليليان .

ج : هو حر وده رأيه ولـكن أنا أقطع بأن ده مش صوتى ولا أستطيع أن أميز بقية الأصوات وليس عندى ثقة فى هذا التسجيل .

س : ألديك أقوال أخرى ؟

ج : ليس لدى أقوال أخرى .

تمت أقوالها ووقعت — رئيس النيابة

نوال المحلاوى — توقيع

. . وهـكذا . . لا ندرى الآن ماذا نقول . . فالحكيم يذكر لنا أن هناك محضراً فتح يوم الأربعاء الموافق ١٣/٥/١٩٧٠ دون أن يذكر اسم الشخص الذى تم التحقيق معه . . ثم نراه يحذف الـكلام

ثم نرى نقاطاً . . ثم يليها إجابة دون أن يسبقها سؤال . ثم سؤال فأجابه وسؤال فأجابه ثم نفاجأ بتوقيع نوال المحلاوى ! ! ولا تتوقف المفاجأة عند هذا الحد . وإنما هناك مفاجأة أخرى أشد ، وهى توقيع نوال المحلاوى على تاريخ التحقيق . فإذا هو ١٩/٥ بينما التاريخ الموجود فى ص ٢٨ هو الأربعاء ١٣/٥/١٩٧٠ ! ولا نعرف السر وراء هذا الإرباك المتعمد من جانب توفيق الحكيم فى إحداث فوضى واضطراب فى تسلسل الأحداث والتحقيقات والتواريخ !

. . أليس واضحاً — ولو بصورة جزئية — أنه يتعمد إخفاء أشياء ليظهر أشياء أخرى غير الحقيقة ! ! ثم أليس من حقنا — على الأقل من أجل خاطر ذاكرة الأمة ووعيها — أن نطالب بشيء ولو قليل من الأمانة ؟

٤ ـ الحكيم .. وصهر عبد الناصر

.. قد يكون التسلسل المنطقى لـكلامنا .. خاتمة نحاول أن نتخذ فيها موقفاً مسرحياً نختتم به موضوعنا . كأن نفرك أيدينا طرباً ، ثم نغمض أعيننا ونقول بثقة شديدة ونحن نفتعل التواضع :ـــ

« والآن . سيداتى وسادتى . بعد هذه المناقشة الممتعة أعتقد أننا أفحمنا الأستاذ توفيق الحـكيم ، وأظهرنا ضعف روايته ولم تعد لأقاصيصه وحكاياته أية قيمة بعد هذه المناقشات التى قمنا بها والحجج الدامغة والأسئلة العويصة التى أحرجناه بها أيما إحراج . ولهذا فلسنا فى حاجة إلى المزيد . وانتهى الموضوع عند هذا الحد » .

.. مثل هذا الإدعاء قد يجوز على البعض الذين يقولون لنا .

« نعم لقد لاحظنا أنـكم أوقعتموه أرضاً وحاصرتموه بحججكم الدامغة ، وأسئلتـكم الذكية التى لا يستطيع الإجابة عنها ولم نعد فى حاجة للمزيد فبارك الله فيكم وفى ذكائـكم .. »

— ولكن بعض الخبثاء الأذكياء ، سيكتشفون أننا لم نفعل شيئاً ذا بال حتى الآن ، بحيث يحق لنا أن نقوم بمثل هذه الحركة المسرحية ، كما لا يحق لنا أن نتلقى مثل هذه التهنئة . .

.. وهذا أمر صحيح مائة فى المائة : ذلك أننا — وبعد هذه المناقشات والمجادلات التى أرهقنا بها القارىء كما أرهقنا بها أنفسنا أيضاً — لم نقدم إجابة حاسمة ، ولا أعطينا الصورة الحقيقية .. ذلك لأن هنالك أسئلة تظل بلا إجابة . .

مثل .. لماذا تعرض لطفى الخولى ونوال المحلاوى وعطية البندارى إلى أسئلة المحققين حول رسالة توفيق الحكيم ، إذا لم يكن لها أهمية ؟ وإذا كان التحقيق لأمر أو لأمور أخرى ـ فلماذا يزج المحققين برسالة توفيق الحكيم فى القضية ؟ » .

.. وفى حقيقة الأمر ، فإننا إذا لم نقدم إجابة عن هذه المسألة ، فكأننا لم نفعل شيئاً على الإطلاق وسنفقد حتى هؤلاء الذين تعاطفوا معنا وتفهموا جيداً أن الرسالة ، لم تكن لها هذه الأهمية ، واقتنعوا بأن الحكيم يقوم بعملية تزييف وتشويه .

.. إن كل المحاولات التى قمنا بها حتى الآن . لم يكن لها من هدف إلا الاقتراب من هذه النقطة .. ولكننا كنا فى حاجة إلى الرد

بشكل مباشر وغير مباشر وبشكل تفصيلى أيضاً على كل نقطة أو حجة نرى من واجبنا الرد عليها ، حتى إذا ما انتهينا منها ـ أو هكذا يخيل إلينا ـ فإنه لن يتبقى أمامنا إلا هذا السؤال الحاسم الذى أراد البعض إحراجنا به .

.. فحقيقة ــ كيف نفسر إذن تعرض لطفى الخولى ونوال المحلاوى وعطية البندارى إلى السؤال حول رسالة الحكيم ؟

.. من المؤكد ــ أن أى إنسان أتيحت له فرصة الإطلاع على التحقيقات التى نشرها الأستاذ الحكيم يلفت نظره أسئلة المحققين عن رسالة توفيق الحكيم ، رغم أنها لم تستغرق إلا صفحات محدودة جداً .. وخاصة وأن كاتبها نفسه لم يتم التحقيق معه بسببها . فلماذا تكون موضع سؤال إذا لم يكن صاحبها مطلوباً للتحقيق ؟ كذلك فإن المرء يحس بالأسى العميق ، وبالمرارة الشديدة وهو يقرأ أسئلة المحققين وإجابات لطفى ونوال وعطية . وهى تدل على فداحة الظلم ، ولا معقولية التحقيق حول رسالة توفيق الحكيم .. إن الإنسان سرعان ما يصاب بالغيظ وبالاشمئزاز حينما يقرأ أسئلة المحقق المبتذلة والحقيرة والإستفزازية حول الرسالة . ومن الذى قرأها . ومن الذى أشار بها . وهل كان يعلم مضمونها ـ ورأيه فيها وهل إرسال الرسالة

كان باتفاق بين توفيق الحكيم وآخرين أم فكر فيها بمفرده — إلى آخر هذه القائمة من الأسئلة التى كان المحقق يوجهها للمتهمين ، وفى التحقيق مع لطفى الخولى نحس بهذه الأحاسيس مجتمعة ونحس بأن هذه الأسئلة بهذه الطريقة أمر لا يطاق . . ومن نماذج هذه الأسئلة ما يلى : —

س : ومتى أبدى لك السيد / توفيق الحكيم رغبته فى إرسال خطاب للسيد الرئيس ؟

س : وما هى المناسبة التى ذكر لك فيها السيد / توفيق الحكيم هذه الرغبة ؟

س : هل عرض عليك السيد / توفيق الحكيم مضمون هذه الرسالة أو الأفكار التى تضمنتها ؟

س : ألم يكتب السيد/توفيق الحكيم هذه الرسالة فى حضورك ؟

س : ألم تطلع عليها قبل إرسالها ؟

س : ألم تكن أنت صاحب هذه الفكرة فى إرسال هذه الرسالة ؟

س : ألم يعرض السيد / توفيق الحكيم على السيد / هيكل

مضمون الخطاب أو الأفكار التى سيذكرها فى هذا الخطاب ؟

.. هذه نماذج بسيطة من الأسئلة التى وجهها المحقق إلى لطفى الخولى ، وواضح أنها أسئلة تتسم بالتفاهة والاستفزاز وتنم عن عقلية عظيمة الحقارة .

.. ما الذى حدث فى الكون حتى يشغل هؤلاء السادة المحققون أنفسهم بمحاولة معرفة إجابات عن هذه الأسئلة ؟

.. وكيف يمكن أن يعامل الناس ـ ناهيك عن الكتاب والمفكرين وقادة الرأى بمثل هذا الأسلوب الدنيء . ومن قبل أشخاص أدنياء ؟

.. وأى جريمة فى أن يرسل أحد الكتاب ، بل أى مواطن عادى برسالة لرئيس الجمهورية ، ليقول له رأيه فى أى أمر من الأمور ؟

هل أخطأ بذلك فى الذات الإلهية . وارتكب أم الكبائر ، أو كبرى الكبائر فى قول آخر ؟

.. ذلك أنه من الطبيعى أن يقول أى إنسان رأيه كتابة أو باللسان فى أى أمر من الأمور حتى وأن هاجم رئيس الدولة ذاته . فما بالك برسالة رقيقة كرسالة الحكيم ، وفى موضوع لا يمس من

قريب أو من بعيد أخطاء النظام مثلا . ولا يتعرض للسياسة العامة للدولة . ولا يوجه أى انتقاد لأى شيء . وإنما مجرد طلب ورجاء . بأن يظل هيكل رئيساً لتحرير الأهرام كما هو وصرف النظر عن تعيينه وزيراً للارشاد ؟

« حقاً ماذا فى الرسالة يستدعى التحقيق وأن يستعرض المحققون ذكاءهم المضحك فى معرفة أشياء لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تدل إلا على الاهتمامات الضحلة والتافهة لهم ؟

يقول لطفى الخولى فى إجابة له على أحد أسئلة المحققين الأذكياء !

« هذا صحيح وأنا لا أعرف إذا كان أرسل خطاباً لا . . وذلك أن كل ما علمته من السيد توفيق الحكيم أن له رغبة فى إرسال خطاب وأضيف إننى لا أتذكر الآن أن الأستاذ توفيق الحكيم أخبرنى أنه أرسل الخطاب أم لا لأن الموضوع لا أجد فيه أى شيء أن كاتباً كبيراً يكتب خطاباً أو يوصل رأيه إلى قيادة البلد لأن هذا هو المفروض والواجب وأنه يجب للكتاب أن يعبروا عن رأيهم للقيادة « وأعتقد أن الرئيس يرحب بذلك » .

وقال فى موضع آخر :

« أنا لا أذكر شيئاً عن هذا ومع ذلك أريد أن أقول لو صح

هذا كله ماذا يعنى ، هل يعنى هذا نقداً لتعيين هيكل وزيراً ، هل يعنى انتقاصاً من كرامة أحد ، ، هل يعني تطاولا على الرئيس ، هل يعنى خيانة لقضية الوطن . ماذا يعنى ؟ ؟ ! وعلى العموم أنا لا أذكر أن توفيق الحكيم قدم لى أو ناقشنى أو أن هيكل حدثنى عن خطاب بهذا الشأن ولا أدرى لماذا يحدثنى هيكل عن خطاب فى هذا الشأن كما لو كان يريد وسيطاً بينه وبين السيد الرئيس » .

وقال فى موضع آخر :

« يسأل مرسل الخطاب ويبقى ده دليل على تحرك توفيق الحكيم من مقعده وإنه ليس هناك أى جريمة فى أن يرسل أى مواطن خطابا برأيه فى أى أمر من الأمور إلى الرئيس بل هذا هو المطلوب والذى شجع عليه الرئيس نفسه فى خطاباته » .

واضح أن إجابة لطفى الخولى تحمل الاستغراب الشديد من التحقيق بهذه الصورة عن الرسالة . لأن من الطبيعى أن يعبر الكتاب عن آرائهم لقيادة بلدهم .

. . إن رد الفعل الطبيعى لقراءة هذه الصفحات القليلة من التحقيقات عن الرسالة هو أن نصرخ وقد تملكنا الغضب . . «هذا شىء لا يطاق » لأنه أمر يدل على ديكتاتورية لا يمكن تخيلها ،

ولا تخيل شرورها وآثامها .

.. ولكننا بعد أن تهدأ أعصابنا من الصراخ والنرفزة ، سنجد أنفسنا نتساءل :

أليس غريبا ألا يستدعى كاتب الرسالة للتحقيق ؟ ألم يكن من الممكن أن يتم إعدامه أو سجنه على أحسن الأحوال مع الذين قرأوا رسالته أو تحدثوا فى أمرها !!

.. ولأن ذلك لم يحدث . فإن الأمر يبدو لنا فى غاية الغرابة . كما يبدو أننا تسرعنا فى الغضب واستخلاص النتائج عن أن ناصر لم يطق أن يوجه الحكيم له رسالة رقيقة كالتى أرسلها .. !!

.. أمر محير ومثير .. :

.. وعلى كل حال فهذه ليست الملاحظة الوحيدة المحيرة فى الموضوع .. وإنما هناك ملاحظة أخرى محيرة ..

.. فلقد لوحظ أن المحققين يبذلون مجهوداً كبيراً ونشيطاً لمحاولة معرفة علاقة حاتم صادق بالموضوع ، بل ووصلت الجرأة إلى محاولة معرفة ما إذا كان متعاطفاً مع محتوى الرسالة أم لا . وموافقاً عليها أم لا ..

.. وكانت الأسئلة التى جاءت فى التحقيقات مثل :

س : هل ذكر أيهما أن السيد / حاتم صادق كان يعلم مضمون هذا الخطاب أو أنه اطلع عليه ؟

س : ألم تستفسر عما إذا كان من الممكن أن ينقل السيد / حاتم صادق رسالة إلى السيد الرئيس دون أن يعلم محتوياتها ؟

س : هل فهمت من الحديث الذى جرى أن السيد / حاتم كان مؤيداً لما كتبه الأستاذ توفيق الحكيم ؟

.. قد يندهش البعض ويصرخون ...

« يا إلهى ! ! هل وصلت الجرأة بالمحققين إلى الدرجة التى يحاولون فيها « جر » زوج إبنة عبد الناصر إلى التحقيقات بهذه الصورة وتلفيق الإتهام له ؟ »

.. إذن ما الهدف من وراء إلحاحهم لمعرفة موقفه ؟

وهل يمكن أن تصل بهم الجرأة إلى أن يقولوا لعبد الناصر ، « إن زوج كريمتك متعاطف معهم وبالتالى فهو يتآمر عليك .. فهل أذنت لنا باستجوابه هو الآخر والقبض عليه ؟

.. من الأمور الطبيعية أن عبد الناصر يعلم موقف حاتم

صادق من الرسالة لأنه هو الذى سلمها له . وحاتم صادق كان فى المدة الأخيرة خاصة بعد عام ١٩٦٧ يرى عبد الناصر كثيراً . بشكل شبه يومى . وبالتالى فلا يمكن الاعتقاد بأن ناصر لا يعرف موقفه ورأيه إذا كان من الضرورى أن يعرفه .

.. فلماذا الإلحاح من المحققين لمعرفة هذه المسألة ؟

.. ألا يعتبر ذلك أمراً مثيراً ومحيراً ؟

.. على كل حال ، فإننا لم نبد هذه الملاحظة لإثارة الإرتباك والبلبلة فى فهم الموقف . وإنما أردنا أن نقول أن الأسئلة المملة من السادة / المحققين الأذكياء عن الرسالة ، لا تعنى أن الرسالة كانت محور التحقيقات . ولا تشكل أى أهمية بالمرة ، وإلا لجىء بكاتبها نفسه أو لانتقل إليه المحققون ليسألوه مباشرة . وكذلك لم تكن هناك حاجة إلى السؤال عن موقف حاتم صادق . لأن ذلك لن يفيد فى التحقيق كذلك . ولو كان للأمر أى أهمية لكان من الأجدى أن يدلى بشهادته ..

إما أن لا يستدعى أى منهما للتحقيق ورغم ذلك لا يمل المحققون من محاولة الزج بهما بشكل مفتعل فى التحقيقات فإن ذلك أمر

غريب . وهو لا يمكن أن يتم إلا لغرض فى نفس يعقوب ! !

.. يعقوب ؟

— ومن يكون يعقوب المصرى يا ترى الذى فى نفسه غرض ؟

.. وأما يعقوب الذى فى نفسه غرض . فهو ما اصطلحنا على تسميتهم بمراكز القوى قبل مايو ١٩٧١ .

٥ - الصراع بين على صبرى وهيكل

.. من الأمور التى كانت معروفة وشائعة على صعيد الحكم ، وجود صراع بين ما سمى « بجماعة على صبرى » وبين .. « محمد حسنين هيكل » ، ولكن هذا الصراع لم يتخذ أبعاداً واضحة وملموسة . ولم يظهر للسطح بقوة ، إلا بعد هزيمة ١٩٦٧ وتصفية المجموعة العسكرية التى كانت تعرف باسم «جماعة المشير عبدالحكيم عامر وشمس بدران » . إذ كانت هذه الجماعة تعتبر مركز القوة الأول والقوى جداً فى البلاد قبل الهزيمة . فلم يكن خافياً على أحد أن المشير عبد الحكيم عامر ،الذى تمرس لردح طويل من الزمن فى قيادة الجيش ، قد نجح آخر الأمر فى ضمان ولاء الجيش له ولاءاً شخصياً . وأنه قد أحكم قبضته على الجيش وعلى جهاز المخابرات . وكانت وسيلته فى ذلك ، منح الإمتيازات العديدة للضباط ، حتى صارت القوات المسلحة أقرب ما تكون إلى عزبة خاصة ، وكان المشير ورجاله وخاصة شمس بدران ، يتصرفون كأمراء إقطاعيين .

.. ونظراً لانعدام الكفاءة العسكرية لدى المشير — رحمه الله — ولدى رجاله البارزين . فقد وقع الجيش المصرى فى قبضة حفنة من الضباط والقادة المتخلفين والجهلاء . والمجردين من أى موهبة حقيقية والذين لايتمتعون بالثقافة العسكرية الرفيعة ولا بالقدرة على الخيال والصلابة اللازم توافرها فى القادة العسكريون مما جعلهم يقاومون وجود الأشخاص الأكفاء فى القيادة . وجعلهم أضحوكة فى مجال العسكرية الصحيحة .

.. ولأن المشير ورجاله قد تحولوا إلى مركز قوة وأصبحوا يسيطرون كلية على الإدارة العسكرية ، ولأن البلاد لم يكن بها تنظيم سياسى قوى يقبض على زمام الأمور بيد قوية ، ويجعل العسكريين يلزمون حدودهم . فقد أصبحوا يتدخلون فى السياسة وفى الحياة المدنية ودسوا أنوفهم فى كل شىء . وكانوا يرون أنهم حكام البلاد وأن الجيش هو معمل تفريخ القيادات حتى صاروا وزراء البلد ومحافظيه ورؤساء مجالس إدارته وشركاته ومصانعه ومدنه وقراه . ورؤساء مجالس إدارات أنديته الرياضية ، وتجـــاره وقضاته ودبلوماسية وسياسية ..

.. وباختصار صاروا كل شىء .. إلا مهنة واحدة فشلوا فى إتقانها

هى العسكرية الحقيقية . كانوا عسكريين باللقب والبدلة فقط .

.. المهم أنهم أصبحوا القوة الطاغية ومركز الثقل الأساسى . وقد أدى ذلك إلى اختفاء الصراعات بين باقى المجموعات أو عدم ظهورها بشكل كاف . وقد تضاربت الأقوال حول حدود ومدى قوة العسكر بزعامة المشير وشمس بدران ، فمن قائل بأنهم كانوا فى النهاية خاضعين لعبد الناصر : إلى قائل – بثقة – أنهم صاروا قوة ضاغطة عليه ، وأنهم شلوا يديه فى أشياء كثيرة ، وفرضوا عليه بعض المسائل والقضايا ، وأنه كان يحسب حسابهم خوفاً من الإنقلاب العسكرى .

.. وعلى كل .. فنحن لا نريد الإنجرار فى الحديث عن هذا الموضوع ، وإنما يهمنا التأكيد على أن المشير وجماعته من العسكر ، كانوا مركز القوة الأول والخطير فى البلاد قبل هزيمة ١٩٦٧ ، وهذا ما جعل بقية المراكز أقل أهمية ، وبالتالى فصراعاتها لم تكن واضحة بشكل كاف .

إلا أن الصراع بين الطرفين . أى بين على صبرى وهيكل كان ملموساً لدى هواة معرفة الأخبار . وقد اشتد هذا الصراع بعد أن أصبح على صبرى أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكى فى عام ١٩٦٦ ، إذ

ازداد نفوذه خاصة حينما اتضح أن عبد الناصر بات مصمماً على إعطاء دفعة قوية للاتحاد الإشتراكى وإيجاد تنظيم سياسى قوى .

.. لقد كان الصراع الموجود قبل هزيمة ١٩٦٧ ، يدور بين عدة مجموعات أبرزها كما قلنا مجموعة المشير وجماعة على صبرى وجماعة زكريا محيى الدين ، وجماعة هيكل .. وكانت المجموعة العسكرية تنظر شذراً إلى تصاعد نشاط الاتحاد الاشتراكى ولا تحس بالإرتياح نحو نموه . وخاصة إلى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ، ومنظمة الشباب إذ كان العسكريون يرون أن المعهد يعمل على إعداد كوادر للحكم . بينما الجيش يجب أن يظل معمل تفريخ القيادات . ويجب أن يظل الحكم بيده . وقد نجحوا فى إنزال ضربة هائلة بالمعهد .

.. نتيجة للهزيمة صفيت المجموعة العسكرية تصفية حاسمة ، كما فقد زكريا محيى الدين كل تأثير له . وبقيت فى الساحة مجموعة على صبرى . وهيكل .

.. ومن الأمور التى أصبحت ملموسة ، صعـــود نجم كل من شعراوى جمعة وسامى شرف . إذ أصبح شعراوى جمعة وزيراً للداخلية علاوة على تسلمه لأمانة التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ، كما أنيطت به

لفترة طويلة مهمة حماية النظام فى الداخل من أى تحرك قد تقوم به بعض العناصر العسكرية الموالية لجماعة المشير بعد الهزيمة وانتحار المشير ، إذ كان عبد الناصر قلقاً من احتمال حدوث شيء وكانت القوة المعدة هى قوات الأمن المركزى إضافة لقوات الحرس الجمهورى — للتصدى لأى محاولة إنقلابية من بقايا جماعة المشير . .

. . كذلك سامى شرف إزداد نفوذه وأصبح مهيمناً على الأمن القومى . وتتجمع لديه المعلومات بصفته سكرتير الرئيس المعلومات . .

. . كان واضحاً صعود نجم الثنائى «شعراوى — سامى شرف» وتزايد نفوذهما بشكل بارز . وكان يقال أنهما من جماعة على صبرى ونحن لا نعرف على وجه التحديد مدى سيطرة على صبرى عليهما . أم أنهما كانا بعيدين عنه . وخاصة أن علاقتهما بالرئيس عبد الناصر كانت علاقات مباشرة والسلطات التى بين أيديهما أقوى بمراحل من سلطات على صبرى . .

وهذا أقرب إلى الصحة . إذ لوحظ أن نجم على صبرى أخذ يأفل بعد الهزيمة . .

. . على كل حال : فنحن لا نمتلك أى قدر من المعلومات يسمح

لنا بأن نفتى وندعى المعرفة بأمور لا نعلم حقيقتها . وما أقوله لا يخرج عن مجرد ما كنا نسمعه من أقوال . . . إلا أن الأمر المؤكد هو أن الصراع استمر رغم أفول نجم على صبرى بعد الهزيمة ومن المؤكد — كذلك — أن كلا من سامى شرف وشعراوى جمعه كانا يميلان إلى جانب على صبرى فى الصراع ضد هيكل وبالتالى فقد وقف الاتحاد الاشتراكى ضد هيكل .

. . وكان الهجوم المنصب على هيكل منطلقاً — فى الظاهر — من أنه أمريكى الميول وأنه معادٍ للاشتراكية ، ولا يؤمن بأى دور للتنظيمات السياسية . لدرجة أنه عطل عمل التنظيم الطليعى داخل « الأهرام » كما أشيع وقتها ، وأنه يمينى . . الخ

. . من جهة أخرى فإن ما تردد هو أن الأمر لا يخرج عن كونه صراعا على النفوذ ليس إلا — لأن هيكل يحتضن مجموعة كبيرة من الشيوعيين فى الأهرام — وخاصة فى مجلة الطليعة — ويوفر لهم إمكانيات كبيرة ، كما يظللهم بحمايته من أى تدخل من قبل أجهزة الأمن ، وأنه قد حول الأهـــرام إلى مؤسسة علمية ضخمة . استعان فيها بعقول كبيرة ومؤثرة . وأصبح بإمــكانه أن يؤدى مجموعـــة خدمات عديدة لعبد الناصر من حيث كمية المعلومات ونوعيتها وتحليلها

منافساً بذلك أجهزة عديدة فى الدولة لن تستطيع مجاراته فى هذه العملية . . كذلك فإن هيكل له علاقة مباشرة بعبد الناصر ويستطيع أن ينقل له أى شىء دون المرور بسامى شرف أو شعراوى أو على صبرى ، وهذه المجموعة لا ترحب بأن يحظى إنسان غيرها بمثل هذه الحظوة لدى عبد الناصر . وتعتبره خطراً عليها خاصة وهى تخطط لتكوين مركز قوة جديد — بعد أن صرف عبد الناصر معظم جهوده نحو إعادة بناء الجيش ، وبعد أن اتضحت خطورة المرض الذى ألم به — « جلطة فى القلب » .

. . ولقد تجسد الصراع فى محاولة كل طرف النيل من الطرف الآخر من ناحية وتسديد ضربات مباشرة إلى عدد من رجاله ...

فالمخابرات تضايق هيكل بإلقاء القبض على الدكتور جمال العطيفى ، المستشار القانونى لمؤسسة الأهرام وتلفيق تهمة له . وهيكل يرد بالهجوم على أساليب المخابرات وزوار الفجر . . وجماعة على صبرى تشن هجوما ضاريا على هيكل فى اجتماعات الاتحاد الاشتراكى فيما يشبه الثورة بسبب مقالاته التى كتبها عن ضرورة تحييد أمريكا . وعدم مناطحة الثور الأمريكى — وكانت هذه الحملة من القوة بحيث اعتقد الكثيرون أنها موعز بها من ناصر نفسه كتمهيد للتخلص

من هيكل ، ولكن عبد الناصر تدخل لمصلحة هيكل . وأمر بوقف الحملة التى يشنها الاتحاد الاشتراكى وقد طلب شعراوى جمعة — أمين التنظيم ووزير الداخلية — من الاتحاد الاشتراكى التوقف عن مهاجمة هيكل وأذكر أن هناك تعبيراً أستخدم كالأمر يقول :

« آن الأوان لتتوقف هذه الحملة وينصرف الاتحاد الاشتراكى إلى ما هو أجدى » ولا أدرى إن كان هذا تعبير شعراوى جمعة ، أم لا . أم أنه مختلق ولكن الشيء الثابت أن الحملة توقفت بتعليمات صارمة .

. . ولكن يبدو أن هيكل نجح فى تسديد ضربة مقابلة حينما تسبب فى إخراج مسئول الدعوة والفكر بأمانة الاتحاد الاشتراكى لمحافظة القاهرة وهو أمين عز الدين — ومسئول الإعلام وهو سامى الليثى . تمكن من إخراجهما من العمل السياسى لأنه حملها مسئولية اذكاء الحملة ضده ، فعاد الأول إلى وزارة العمل وعين الثانى فى مجلة المصور . ذلك أن الاتحاد الاشتراكى قاد حملة ضد هيكل بسبب مقالاته التى اعتبرها خارجة عن الخط السياسى الذى يمثله . كما أنه اشتكى من أن الجماهير تعيش فى حالة بلبلة بسبب هذه المقالات . وقد حدث أن عقد اجتماع للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى شهر مايو

(آيار) ١٩٦٨ . وشن عدد من أعضاء اللجنة هجوماً عنيفاً ضد هيكل الذى كان حاضراً الاجتماع . ودارت مناقشة اشترك فيها عبد الناصر بخصوص مقالات هيكل . وقال عبد الناصر ، أنه منذ الآن لن تنفرد الأهرام بنشر الأخبار الهامة ، وإنما سيكون ذلك من حق الصحف الأخرى وتم إسناد الإشراف السياسى على دور الصحف إلى أعضاء اللجنة التنفيذية العليا . بحيث أصبحت كل مؤسسة من اختصاص عضو باللجنة واختار عبد الناصر ، أن تكون الأهرام تابعة لإشرافه .. كذلك طلب عبد الناصر من هيكل أن يرد على الهجوم الذى شن ضده . فلم يرد . . ولعل أهم ما قاله عبد الناصر فى ختام المناقشات . هو أنه وجه كلامه إلى الأعضاء قائلا . بأنه إذا كان رأيكم أن أقطع صلتى بهيكل فليس لدى أى مانع .

فلم يتكلم أحد . .

وبعدها مباشرة ذهب عبد الناصر لافتتاح المبنى الجديد للأهرام واجتمع بعدد من كتابه اجتماعا طويلا .

.. على كل . وبدون أن نستمر فى التفاصيل التى قد توقعنا فى أخطاء أو تحريفات فى الوقائع . فإن مغزى ذلك كان واضحاً . وهو . إن عبد الناصر حسم الخلاف لصالح هيكل .

.. ثم قام هيكل بتسديد ضربة إلى الاتحاد الاشتراكى .. فقد حدث أن أصدرت أمانة التنظيم بالاتحاد الاشتراكى منشوراً تنظيمياً تهاجم فيه مقالات هيكل التى كتبها عن عدم قدرتنا على مناطحة الثور الأمريكى. وقال الاتحاد فى منشوره أن مقالات هيكل لا تعبر عن رأى الدولة.

وفى اجتماع ضم عبد الناصر وعلى صبرى وهيكل .. اشتكى هيكل من أن الاتحاد الاشتراكى يوزع منشورات تهاجمه ويلصقها على نوافذ مترو مصر الجديدة. وقد شهد سامى شرف بذلك. وقال أنه أرسل بالفعل عدد من العساكر لإزالة هذه المنشورات وقد حمل هيكل مسئولية ذلك إلى كل من أمين عز الدين مسئول الدعوة والفكر بأمانة القاهرة. وسامى الليثى مسئول الإعلام. فلم يبادر على صبرى بالدفاع عنهما ونفى علاقتهما بذلك. فطلب عبد الناصر منه التنبيه عليهما بعدم التوجه للاتحاد والعودة إلى أعمالهما الأصلية. فعاد أمين عز الدين إلى وزارة العمل. وعاد سامى الليثى إلى دار الهلال .. وكان ذلك نصراً سجله هيكل.

وقد سألت سامى الليثى عن علاقته بهذا المنشور. فقال أنه لا علاقة له به. كذلك الحال بالنسبة لأمين عز الدين. وأنه

فوجىء بصدور المنشور حينما أخبره بأمره أحد المسئولين . فقال له سامى أنه يعارض ذلك . لسبب واحد وهو أن هيكل عضو فى التنظيم وإذا كان هناك شىء بالنسبة له . فيجب استدعاءه وسؤاله بشكل تنظيمى .

.. ثم واتت هيكل الفرصة الذهبية لإصابة على صبرى إصابة قاتلة حينما نشر الأهرام فى صفحته الأولى وبمانشيت رئيسى . قيام سلطات الجمارك باحتجاز سلع وبضائع استهلاكية واردة للسيد / على صبرى ، استخدمت سيارات الاتحاد الاشتراكى لنقلها وبدون دفع رسوم .. وقد أجبر على صبرى على دفع الرسوم وقيل أن هذه الأشياء لا تخصه وإنما تخص السيدة حرمه . إلا أن الضربة كانت قاتلة ، وكانت تعنى ببساطة شديدة القضاء على المستقبل السياسى لعلى صبرى . وفى حقيقة الأمر فإن دور هيكل هنا كان استغلال الواقعة على نطاق واسع . ولم يكن مدبرها ، وكان واضحاً أنه لم يكن ممكنا أن تتم إلا بموافقة عبد الناصر شخصياً على ضرورة معاقبة على صبرى .. إلا أن من الأمور الغريبة هو أن على صبرى لم يقض عليه سياسياً كما كان متوقعاً . وبالتالى فكان الجو ممهداً لتسديد الدين لهيكل . وفى عام ١٩٧٠ قامت جماعة على صبرى بتسوية الحساب بشكل قوى .

حينما تم إلقاء القبض على لطفى الخولى ونوال المحلاوى — ولطفى من أقرب المقربين إلى قلب هيكل كما أن نوال سكرتيرته التى كان يعتمد عليها كثيراً والتى كان يتردد أن عبد الناصر معجب بذكائها وحيويتها حتى كانت تلقب بأشهر وأفضل سكرتيرة فى مصر ، وقوة الضربة تتبدى من خلال معرفة أن قرار تحديد إقامة لطفى الخولى قبل القبض عليه والتحقيق معه اتخذ دون إعلام هيكل به بشكل مسبق . وقد بوغت به مباغتة شديدة فيما يبدو ولم يستطع أن يفعل شيئاً إلا بعد وفاة عبد الناصر ، إذ أصدر الرئيس السادات قراراً بالإفراج عن لطفى الخولى — قبل مايو ١٩٧١ ..

وبعد وفاة عبد الناصر اشتد الصراع بين الفريقين ولم تطو صفحته إلا فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، حينما تمت تصفية على صبرى وجماعته نهائياً وقد كان هيكل واقفاً فى صف السادات ومؤيداً له وشن عليها بعدئذ هجوما قوياً على صفحات الأهرام ..

.. إن هذا العرض السريع والمختصر للصراع بين ما سمى بمراكز القوى ، وهيكل يعتبر عرضاً مخلا لافتقاره إلى المعلومات التفصيلية . ولفقدانه للدقة اللازمة فى التصدى لمثل هذه المسائل الهامة وعذرنا فى ذلك — وأعتقد أنه مقبول لحد ما — هو أننا نريد —

فقط ــ أن نرسم الصورة العامة ــ وليس التفاصيل ــ للأجواء التي حدثت فيها عملية القبض على لطفي الخولي ــ ولأسباب الاستجواب بخصوص رسالة توفيق الحكيم ثم محاولة المحققين معرفة موقف حاتم صادق . . وبالتالي فنستطيع تحديد الموقف في عدة نقاط . .

١ ـ وجود صراع بين ما يسمى مراكز القوى وبين هيكل .

٢ ـ إن كل طرف كان يسدد للآخر ضربة من حين لآخر .

٣ ـ أن طبيعة أغلب الضربات المتبادلة كانت تهوى فوق رؤوس بعض المحسوبين على أي منهما كوسيلة لإضعاف مركز الطرف الآخر .

. . ومن هنا نستطيع أن نفهم كل ما حدث وما جرى ونفهم مغزى التحقيق في رسالة الحكيم دون أن يستتبع ذلك إلقاء القبض عليه ومغزى الاستعلام عن موقف حاتم صادق . .

. . لقد أرادت مراكز القوى ضرب هيكل فأخذت تدبر عمليات دءوبة لاصطياد عدد من معاونيه أو عدد من أفراد جماعته لإضعاف موقفه . . فقامت المخابرات العامة بإيعاز من سامي شرف بوضع أجهزة تسجيل في منزل لطفي الخولي . ويتردد أن هذه الأجهزة

قد تم وضعها فى منازل عدد آخر من الأفراد وكان الهدف هو تسجيل كل ما يقوله لطفى الخولى . وتسجيل ما يقوله زواره له . ومن المعروف أن عدداً من الشخصيات العامة والعربية تقوم بزيارته .

ومن الطبيعى أن هناك كثيراً من الأحاديث ستدور وستنصب حتما على الأوضاع السياسية للبلاد وستتناول عدداً من السياسيين والشخصيات البارزة . وعما يدور من أحداث ، وتعليقاتهم عليها . . وبطبيعة الحال . فسيحدث أن يدلى البعض بآراء قد تكون مغايرة لآراء النظام ، أولا لآراء عبدالناصر فى عدد من القضايا . وقد يوجهون النقد إلى عبد الناصر مثلا . أو يهاجمونه بألفاظ حادة نوعا ما على سبيل المثال . ذلك أن الأصدقاء حينما يجتمعون وخاصة إذا كانوا من أهل الفكر والمهتمين بالسياسة . ومن الصحفيين يتكلمون بحرية خاصة إذا كانوا يأمنو لى أن كلامهم لن ينقل

من وجهة نظر مراكز القوى فإن تسجيل ما يدور قد يكون فيه بغيتهم . إذ قد يجدون لفظة هنا أو جملة هناك ، أو رأياً هنا أو تعليقاً هناك لا يرضى النظام أو عبد الناصر مثلا . ويا حبذا لو كان المتكلم من جماعة هيكل . فهنا الفرصة الذهبية للايقاع بهيكل عن طريق اعتقال المتكلم . وتحميل هيكل المسئولية لإضعاف ثقة الرئيس

فيه وبالتالى هز مركزه .

.. ولقد حملت أجهزة التسجيل التى وضعت فى منزل لطفى الخولى فرصا سعيدة لسامى شرف وشعراوى جمعـــــه . وقد قدمت هذه التسجيلات إلى عبد الناصر ليسمعها . وأصدر بعدها قراراً بتحديد إقامة لطفى الخولى فى منزله بناء على توصية من سامى شرف وشعراوى وعلى صبرى ـ ولم يكن هيكل موجوداً أثناءها ، وإنما علم به بعد صدوره . فاتصل تليفونيا بعبد الناصر ليسأله عن صحة الخبر فأكد له عبد الناصر ذلك ـــ ثم اعتقل لطفى الخولى ونوال المحلاوى وزوجها عطية البندارى الذى يعمل بهيئة النقل العام بالقاهرة . كما اعتقلت السيدة / ليليان زوجة لطفى وتم التحقيق معهم ..

ولقد ترددت وقتها روايات عديدة .. منها أن عبد الناصر قد غضب غضباً شديداً حال سماعه الأحاديث التى تم تسجيلها ، وقيل أنه كان متأثراً غاية التـــأثر من لطفى الخولى وما ورد على لسانه ـــ لأنه ـــ كما تقول مصادر مقربة من عبد الناصر ـــ كان يحب لطفى الخولى وكان قد تحاور معه أثناء زيارته للأهرام واجتماعه بهيئة تحرير مجلة الطليعة . كذلك إندهش عبد الناصر مما قالته السيدة نوال المحلاوى فى الأحاديث التى تم تسجيلها . لأنه كان يقدرها ومعجب

بكفاءتها وكان يعلم أنها تعلم أشياء كثيرة بحكم عملها سكرتيرة للأستاذ هيكل . . قيل كذلك أن هيكل بعد أن اتصل تليفونياً بعبد الناصر لسؤاله عن خبر تحديد إقامة لطفى الخولى ، أن حاول تلطيف الموقف، ولكن عبد الناصر كان متأثراً ولم ينجح هيكل فى مسعاه .

ما الذى حدث . . ؟

حينما تمت هذه العملية ترددت إشاعات كثيرة روجتها عناصر من أجهزة الأمن وهو الأسلوب الذى كان متبعاً حينما يريدون تحطيم وتشويه أى إنسان . إذ يقومون بنشر معلومات وإشاعات عنه غير حقيقية .

. . الإشاعات القوية التى ترددت قالت :

« أتدرون ماذا حدث بالضبط ؟ إذن إليكم الحقيقة كما هى غير منقوصة . . لقد اتضح أن المدعو أحمد لطفى الخولى رئيس تحرير مجلة الطليعة وأحد كتاب الأهرام البارزين ، ليس إلا جاسوساً يعمل لحساب المخابرات الفرنسية ! » .

ورواية أخرى قالت « بل جاسوساً لحساب الاتحاد السوفيتى . وأما نوال المحلاوى فهى عميلة للمخابرات الأمريكية وتزداد حبكة الرواية فيقولون :

« أن نوال المحلاوى كانت تقوم بتصوير الوثائق التى لدى هيكل وتعطى نسخة منها إلى لطفى الخولى ليقوم بتسليمها للسوفييت، بينما تقوم هى بتوصيل ما لديها إلى الأمريكان ! » .

. . وعلى كل . فلقد كان من السهل على أى إنسان أن يكتشف أن رجال الأمن هم الذين يروجون هذه الروايات التى تشبه الأساطير والتى يبدو واضحاً منها الرغبة فى تشويه سمعة المعتقلين .

إلا أنه ترددت روايات أخرى تقول : أن المخابرات سجلت أحاديث يهاجم فيها لطفى الخولى عبد الناصر هجوماً عنيفاً . وكذلك نوال المحلاوى ، بسبب قرار الرئيس بتعيين هيكل وزيراً للأعلام ـ لأنهما اعتقدا أن ذلك تمهيد للتخلص منه . ودارت أحاديث عن إنعدام الحريات فى البلاد . . أما عطية البندارى فقد ورد على لسانه أن بالإمكان وقف حركة النقل فى القاهرة بسهولة .

فصاح رجال الأمن . . « مؤامرة — مؤامرة ! » .

إن أحداً لم يكن يشك بالمرة فى أن هيكل قد تلقى ضربة موجعة ومؤثرة بنجاح جماعة على صبرى فى الإيقاع بلطفى ونوال والقبض عليهما وبالتالى إحراجه أمام عبد الناصر .

بالنسبة لجماعة على صبرى . فلقد كانت أمامهـا فرص واسعة لمواصلة الهجوم على جماعة هيـكل ومحاولة ضرب أكبر عدد ممـكن منهم . ووجدوا فرصة كبيرة حينما ورد فى التسجيلات أحاديث عن رسالة توفيق الحـكيم التى أرسلها إلى الرئيس وأحاديث عن حاتم صادق . . فلقد تم تصنيف توفيق الحـكيم على أنه من رجال هيكل ولهذا فهناك فرصة لاصطياده كما تم تصنيف حاتم صادق على أنه من جماعة هيـكل الأقوياء نظراً لأنه صهر عبد النـاصر . ولأنه يعمل بالأهرام . كما أنه كان هناك سوء تفاهم بين حاتم صادق وبين سامى شرف . وبالتالى فهناك فرصة لاصطياده هو الآخر .

. . ولـكن لأن رسالة توفيق الحـكيم لم تـكن السبب مطلقاً فى القبض على لطفى الخولى وزوجته ونوال المحـلاوى وزوجها وإنما كانت بسبب الأحاديث التى تم تسجيلها لهم بواسطة المخابرات . ولأن عبد الناصر لم يغضب بالمرة من هذه الرسالة بعـكس ما يحاول توفيق الحـكيم إيهامنا — فقد كانت هناك صعوبة فى الإضرار بتوفيق الحـكيم . . كذلك فلقد كان مستحيلا الزج بحاتم صادق لأنه الذى أوصل رسالة توفيق الحـكيم إلى عبد الناصر ، وكان يعلم ما بها . وعبد الناصر يعلم موقفه تماماً .

. . فما هو الجديد فى موقفه ؟

ثم ما هذا الجنون المطبق من المحققين فى الإلحاح على موقف حاتم صادق رغم أنه لن يكون ذا قيمة أو تأثير ؟

. . أن الذى حدث هو أنه كانت هناك توجيهات من سامى شرف (كما تردد) إلى السيد على نور الدين النائب العام بأن يتولى المحققون توجيه الأسئلة بخصوص توفيق الحكيم ورسالته وبخصوص موقف حاتم صادق . لعل وعسى أن يخرجوا ، بشىء يفيد فى الإضرار بهما . وبالتالى إضعاف هيكل .

. . ومن خلال متابعة ما نشره الحكيم فى كتابه من محاضر التحقيقات مع لطفى الخولى حول رسالة توفيق الحكيم يتضح لنا أن لطفى الخولى يصر إصراراً عجيباً على إنكار أى معرفة مسبقة له بالرسالة أو بمحتواها أو المشاركة فى كتابتها .. الخ .

على الرغم من أنه كان يعلم بالأمر أما لماذا أنكر فى التحقيق أى معرفة سابقة له بالرسالة فلأنه أدرك منذ البداية أن هناك محاولة من المحققين للايقاع بتوفيق الحكيم واصطياده لأن المطلوب اصطياد أكبر عدد من جماعة هيكل كما قلنا . . ولكن الأمور انتهت

بالقبض على لطفى الخولى وزوجته ونوال المحلاوى وزوجها .

أما الأستاذ توفيق الحكيم . كاتب الرسالة فلم يصبه أى شىء وظل هيكل كما هو رئيساً لتحرير الأهرام ، إضافة إلى المنصب الجديد — وزيراً للأعلام .

٦ - تزوير الانتخابات والاستعداد لاعتقال حاتم صادق

لعل النقطة المثيرة في موضوع التحقيقات هي محاولة الزج بحاتم صادق والإلحاح من المحققين لمعرفة موقفه من الرسالة والاعتقاد أن المحققين لم يكونوا ليتجرأوا على ذلك إلا إذا كان هناك توجيه مباشر من سامي شرف .. ولماذا يحاول سامي شرف الإيقاع بحاتم صادق ؟

.. تعتبر السيدة / هدى عبد الناصر زوجة حاتم صادق أول من أزاح الستار عن موقف سامي شرف من زوجها وهو الموقف الذي وصل إلى حد الاستعداد لاعتقاله بعد وفاة عبد الناصر .. وقد ورد ذلك في الحديث الذي أجراه معها محمود مراد[1] والذي نشر على

(١) صحفي بجريدة الاهرام .

حلقات فى جريدة الوطن الكويتية . ثم مجلة الصياد اللبنانية[1] .

.. قالت بالنص عن جماعة ١٥ مايو ١٩٧١ التى أطاح بها الرئيس السادات :

« ربما تعلم أن زوجى حاتم صادق كان أحد الذين استهدفتهم المؤامرة وكانت الخطة — كما جاء فى التسجيلات — أن يتم القبض عليه هنا فى المنزل وقد لاتعلم أن سامى شرف يكن لى كراهية شديدة منذ أن عينى أبى سكرتيرة له بعد أن اشتدت عليه وطأة الأزمة القلبية سنة ١٩٦٩ ، كان سامى يريد أن يكون القناة الوحيدة التى يمر من خلالها أى أمر يصل إلى الرئيس أو يصل منه » .

.. هذا ما قالته السيدة هدى .. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو .. لماذا اتخذ سامى شرف هذا الموقف من حاتم صادق ؟

.. باختصار ..

لقد بدأ حاتم صادق العمل فى مكتب سامى شرف فى الأسبوع الثالث من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بترشيح من عبد الناصر وبدأت الخلافات بين الإثنين بسبب تنظيم العمل فى المكتب — أى

---

(٢) العدد الصادر بتاريخ ٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٥ .

مكتب الرئيس للمعلومات — إذ كان حاتم صادق يرى أن الطريقة التي يتم بها تنظيم المعلومات وعرضها على الرئيس متخلفة ومرهقة للرئيس . بينما سامى شرف يصر على الاستمرار بنفس الأسلوب رافضاً أى محاولات لتطوير العمل ومتوجساً خيفة من أن حاتم صادق يريد أن يحل محله . وكانت النتيجة أن ترك حاتم صادق العمل فى مكتب سامى شرف وانتقل للعمل بجريدة الأهرام مشرفا على مركز الدراسات الاستراتيجية فاعتبر سامى شرف هذه المسألة عملا موجهاً ضده نتيجة للخلافات التى كانت بينه وبين هيكل ، وحقيقة الأمر أنه كان هناك اتفاق سابق بين الأستاذ هيكل وبين حاتم صادق للعمل بجريدة الأهرام .

.. ومن الأمور التى أثارت حفيظة سامى شرف . موضوع انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى التى أجريت عام ١٩٦٨ وهى أول انتخابات تجرى بعد الهزيمة على أمل تطوير الاتحاد الاشتراكى .

.. وكان عبد الناصر يعلق عليها أهمية كبرى فى إبراز عناصر جديدة لضمان التجديد وضمان استمرار الثورة كذلك، ولكن وقعت مفاجآت عديدة .. فقد حدثت عمليـــات تزوير فى بعض نتائج الانتخابات لضمان نجاح عدد من أعضاء التنظيم الطليعى ، وتردد أن الذى قام بالتزوير شعراوى جمعة وسامى شرف ، وكان من الممكن

أن تظل عملية التزوير خافية على عبد الناصر ، لأن الأجهزة لم ترفع إليه أى تقارير بحدوث عمليات تزوير أو باتجاهات الرأى العام الذى كان مستاءاً من ذلك .

.. ورغم ذلك علم عبد الناصر بالتزوير من ثلاثة مصادر لم يكن من ضمنها أى جهاز من أجهزة الدولة .. كان المصدر الأول هو محمد حسنين هيكل، والمصدر الثانى الدكتور ثروت عكاشة، والمصدر الثالث حاتم صادق ، وقد أجرى عبد الناصر تحقيقاً فى الأمر .. وقام بتوبيخ سامى شرف الذى اعتكف فى منزله ـ نتيجة لذلك ـ لمدة شهر لم يذهب فيه إلى عمله .. كما أنب شعراوى جمعة واعتكف فى منزله أسبوعاً .

لقد كان التبرير الذى قدمه شعراوى جمعة وسامى شرف هو أنهما فعلا ذلك انطلاقاً من حسن نية ، وأنهما اعتقدا ذلك فى مصلحة التنظيم .. ولكن حدثت مضاعفات للمسألة ، فقد تمكن سامى شرف من معرفة بعض المصادر التى أمدت حاتم صادق بالمعلومات عن الانتخابات وبدأت عملية مضايقة لهم فى العمل، وكانا شخصيين يعملان بمكتب وزير الإعلام وقتها السيد / محمد فائق ، وقد لاحظا أن التقارير التى ترد من مكاتب مصلحة الاستعلامات فى المحافظات

عن الرأى العام واتجاهاته تحتــوى على ضيق من عمليات التزوير فى الانتخابات ، ومن المفروض أن هذه التقارير يتم رفعها لرئاسة الجمهورية ، ولـكن محمد فائق قام بنفسه بشطب كل مايتعلق بالتزوير من التقارير.. هذان الشخصان قد تم تجميدهما فى العمل ونتيجة لذلك قام حاتم صادق بكتابة تقرير بما حدث لهما ليسلمه للرئيس ، ولـكنه سلمه لسامى شرف ليعطيه بنفسه للرئيس وحتى يقرأ مابه .. وقد استدعاه سامى شرف وحاول إقناعه بسحب التقرير لأن نتيجته قد تـكون إلحاق الضرر بمحمد فائق ولـكنه صمم على أن يوصله للرئيس .. وقد كان .

بعد موضوع الانتخابات كان عبدالناصر وحاتم صادق يتمشيان بحديقة منزل عبد الناصر فأبدى له حاتم رغبته فى الإنسحاب من التنظيم الطليعى بسبب الأقاويل التى يسمعها عن تزوير الانتخابات وأن عبد الناصر مسئول عن ذلك ، فطلب منه عبد الناصر أن يبقى وقال له أن انسحاب العناصر الجيدة والمخلصة من التنظيم ستؤدى فى نهاية الأمر إلى وقوع التنظيم فى أيدى الانتهازيين وقال له بالحرف :

ــ « خليك وحط صباعك جوه عنيهم » .

.. وقد حضر حاتم صادق الاجتماع التالى للتنظيم الطليعى لمنطقة

شرق القاهرة وكان سامى شرف موجـوداً وبدأ بعض الأعضاء يتحدثون بنوع من الزهو عن نجاح عدد كبير من أعضاء التنظيم الطليعى فى الانتخابات . فرد حاتم صادق .. بأن الانتخابات حدث بها تزوير ، وقد امتقع لون سامى شرف وكانت مفاجأة للجميع .. وفى اليوم التالى قابل حاتم صادق عبد الناصر فقال له ضاحكا .

ـــ ماذا فعلت فى الاجتماع ؟

وحكى له عما حدث فقال عبد الناصر أن سامى شرف سلمه مظروفاً مكتوب عليه سرى جداً وخطير وهام .. ألخ. ولما فتحه وجد به وصفاً للاجتماع .. فقال له حاتم صادق وهل قرأت ما به . . فقال عبد الناصر لا .. لأننى أعلم موقفك مقدماً .

وحين توفى عبد الناصر انقطع حاتم صادق عن حضور اجتماعات التنظيم الطليعى .

وبعد وفاة عبد الناصر تقابل سامى شرف مع حاتم صادق وقال له : فيه سؤال محيرنى .

.. إنت ليه تركت مكتبى ؟

.. فقال له أنه أراد أن يعمل بالأهرام لوجود مجال للعمل .

فسأله مرة ثانية: لماذا توقفت عن حضور اجتماعات التنظيم الطليعى بعد وفاة عبد الناصر ؟

فقال له ـ أثناء وجود عبد الناصر كنت أعرف من هو رئيس التنظيم ، أما الآن فإننى لا أعرف لحساب من يعمل التنظيم ؟

وبعد وفاة عبد الناصر مباشرة وضع تليفون مكتب ومنزل حاتم صادق تحت المراقبة بأوامر من سامى شرف وبدأت عملية الإعداد للقبض عليه .. وقد تكشفت هذه العملية من التسجيلات التى ضبطت بعد مايو ١٩٧١ وهى عبارة عن مكالمة تليفونية بين شعراوى جمعة وسامى شرف، وأخذا يتحدثان عن الطريقة التى سيتم بها القبض عليه. وكان السائل فيما يبدو شعراوى جمعة فقال له سامى أنه رتب الأمر وسيرسل بجماعة من رجال المخابرات إلى منزله للقبض عليه بطريقة مريحة لا تثير أحداً .

لقد كان من الضرورى أن يقدما تفسيراً ومبرراً لعملية القبض على صهر عبد الناصر واتفقا على أن يتهمونه بأنه أفشى أسراراً عسكرية مستندين فى ذلك إلى إحدى المقالات التى كتبها فى الأهرام بعد زيارة روجرز للقاهرة فى أوائل مايو (آيار) ١٩٧١ تتضمن هجوماً على مشاريع التسوية الأمريكية من الناحية العسكرية .

إننا لا نريد الخوض أكثر مما ينبغى فى سرد الكثير من الأحداث والأسرار لأن الايام فيما يبدو تحمل معها مفاجآت مستمرة تستدعى التأنى فى القذف بالأسرار دون تمحيص وروية .

.. والآن إلى الرواية الحقيقية لرسالة توفيق الحكيم إلى عبد الناصر كما يحكيها لنا حاتم صادق ولطفى الخولى .

شهادة حاتم صادق

يقول حاتم صادق :

« نعم كانت هناك رسالة للأستاذ توفيق الحكيم قمت بتوصيلها لعبد الناصر وأنا لا أذكر بعد هذه المدة الطويلة التفاصيل الدقيقة والصغيرة للموضوع وللظروف التي أحاطت به وكل ما أذكره هو أنني كنت موجودا بمكتب الأستاذ محمد حسنين هيكل بالأهرام وكان الأستاذ الحكيم موجودا كذلك وسألني إن كنت أوافق على تسليم رسالة منه للرئيس . فوافقت فأعطاني الرسالة وكانت موضوعة في ظرف مفتوح واطلعت على محتوياتها وكنت موافقا على ما بها .. وفي نفس اليوم كانت الرسالة على « الكومودينو » بجوار سرير الرئيس وأرفقت بها ورقة صغيرة لأنه كان معتاد على أن يكون في الفراش في هذا الوقت — الثالثة بعد الظهر — وكان يقرأ عددا من التقارير والخطابات قبل أن ينام .

(س) وماذا كان رد فعل الرئيس بالنسبة للرسالة ؟

حاتم صادق : لم يكن هناك أى رد فعل لقد كنت أرى الرئيس بشكل شبه يومى ولو كان لديه أى رأى أو لو كان متضايقا منها لكنت قد عرفت على الأقل . لأننى الذى قمت بتوصيل الرسالة ولأننى ثانياً كنت موافقاً على ما بها وكان الرئيس يعلم موقفى . . ولكن الرئيس لم يفاتحنى فى الموضوع وأنا بدورى لم أفاتحه . والرسالة عادية جداً ولم تثر لدى الرئيس أى شىء فهى من إنسان يحبه الرئيس — توفيق الحكيم — وتتعلق بشخص وثيق الصلة به — الأستاذ هيكل ـ بطريقة لا تحتاج إلى وسيط ، لقد كان الرئيس يحس بضرورة وجود هيكل وزيرا للاعلام فى هذه المرحلة ـ أى فى الوقت الذى عين فيه ـ وهذا كل ما فى الأمر لأن الأستاذ هيكل استمر فى منصبه بالأهرام .

(س) ألم تكن التحقيقات التى أجريت مع الأستاذ لطفى الخولى والسيدة نوال المحلاوى وزوجها بسبب الرسالة ؟

حاتم صادق : هذا غير صحيح بالمرة وأعود للتأكيد من جديد على أن الرسالة التى كتبها الأستاذ توفيق الحكيم لم تثر غضب

الرئيس كما يدعى ولم تكن لها أى قيمة على الإطلاق . والتحقيقات كانت لأسباب أخرى لا تمت للرسالة بأى صـــلة . . ولست على استعداد للخوض فيها .

(س) . . ولكن يف تفسر لجوء المحققين إلى محاولة معرفة موقفك من الرسالة . وعما إذا كنت تعلم محتواها أم لا . وهل كنت موافقاً على ما بها ؟

حاتم صادق ـ هذا موضوع آخر لا أريد الخوض فيه الآن . وكل ما أستطيع أن أقوله هنا ـ والآن ـ أنه كانت هناك محاولة لضرب أكبر عدد ممكن من العاملين بالأهرام ولأنه كانت هناك مواقف بينى وبين سامى شرف فأراد استغلال الرسـالة للايقاع بى وأعتقد أنه هو الذى أوعز للمحققين بالسؤال عن موقفى .

وهذا كل ما أستطيع أن أقوله الآن . . وبالنسبة لى فلقد كنت متضايقا من عملية التحقيق مع لطفى الخولى ونوال المحلاوى وكان الرئيس يحس بأننى متعاطف معهما . . على الأقل بحكم الزمالة فى العمل وقال لى أنه لا يمانع أبدا فى أن أسأل عن لطفى إذا أردت . كما قال لى بالحرف الواحد :

« اسأل عنه واتصل به لأن لطفى يمر بموقف عصيب ويحتاج في هذه الظروف إلى أن يحس بوجـــود أشخـــاص يقفون معه ويسألون عنه » .

ملحوظة : سألت لطفى الخولى عن هذه الواقعة فأكد صحتها وقال إن حاتم اتصل به فى المنزل أثناء توقيفه .

شهادة لطفى الخولى :

تقرير ضياء وحديث الاكسبريس

. . والآن ، فلنستمع إلى شهادة الأستاذ لطفى الخولى رئيس تحرير مجلة الطليعة الشهرية ، والذى كان محوراً لعملية التحقيقات التى أجريت معه . والذى تجرأ الأستاذ توفيق الحكيم ليزعم بأن التحقيقات أجريت معه بسبب رسالته إلى عبد الناصر .

« بالنسبة لما ذكره الأستاذ توفيق الحكيم فى كتابه عن الرسالة أحب أن أقول بأن التحقيقات التى أجريت معى لم تكن بسبب الرسالة التى أرسلها إلى الرئيس عبد الناصر . وإنما بسبب رسالة أخرى والتحقيقات كانت تحقيقات سياسية شاملة » .

. . هذا ما يقوله لطفى الخولى . . وسألته عما ذكره الأستاذ توفيق الحكيم من أن الأستاذ محمد حسنين هيكل طلب إرسال خطاب منه لعبد الناصر حتى يبقيه فى الأهرام .

.. يرد لطفى الخولى :

« القول بأن الأستاذ هيكل هو الذى طلب من الأستاذ الحكيم كتابة الرسالة لعبد الناصر ، وإنه كان مضطربا .. قول غير صحيح بالمرة ، وهل الأستاذ هيكل كان فى حاجة إلى واسطة بينه وبين عبد الناصر ؟ » .

.. وهكذا بدأ الحوار بينى وبين لطفى الخولى فى مكتبه بجريدة الأهرام يوم السبت ٩ أغسطس (آب) ١٩٧٥ الساعة الثانية عشرة ظهراً بحضور الأستاذ أبو سيف يوسف مدير تحرير الطليعة .

.. يقول لطفى الخولى :

بعد أن صدر كتاب الأستاذ توفيق الحكيم « وثائق على طريق عودة الوعى » اندهشت لما به .. صحيح أن ما ورد به من أسئلة وإجابات حول الرسالة صحيح . ولكن هذا الجانب من التحقيقات كان صغيراً جداً . ولم يكن السبب مطلقاً وقد اتصلت بالأستاذ الحكيم وقلت له أننى أريد الاطلاع على محاضر التحقيقات . وسألته لماذا لم يخبرنى بوجود المحاضر فى حوزته ، لأنها تخصنى بصفة أساسية .. فقال لى أن أحد أصدقائه من رؤساء النيابة أحضرها له

مدة أربع وعشرين ساعة فقط. وقد قام بتصوير الأجزاء الخاصة برسالته من التحقيقات وأعادها إليه مرة أخرى » .

يعلق لطفى الخولى — من المفروض أن النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات تعتبر سرية ولا ندرى السر فى إعطائها للأستاذ توفيق الحكيم وحده ، رغم أنه ليست له أى صلة بالتحقيقات . ولا أدرى كذلك لماذا لم تعرض على وعلى السيدة نوال المحلاوى وزوجها ما دامت قد أصبحت علنية بهذه الطريقة ؟ .

س : ما هى الرواية الحقيقية للتحقيقات ولرسالة الحكيم ؟

لطفى الخولى : من بداية الأمر لست على استعداد بالمرة لأن أشارك فى أى عمل به مساس بالرئيس عبد الناصر فى هذا الوقت الذى يتعرض فيه إلى الهجوم الضارى من الرجعية . . ولكن ما دام الأمر قد وصل إلى درجة تتطلب منى توضيح بعض الأمور . فسأفعل ذلك » .

س : حسنا . ورد فى التحقيقات أنك لا تعلم شيئا عن رسالة الحكيم أو محتواها وكل ما تعلمه أنه فاتحك فى نيته كتابة رسالة فهل حقيقة كنت لا تعلم محتواها ؟

لطفى الخولى : بطبيعة الحال كنت أعلم محتواها وقرأتها . ولكنى

أنكرت معرفتى بها فى التحقيقات لأنى اعتقدت أنه قد تكون هناك خطة للاضرار بتوفيق الحكيم فصممت على تغطية موقفه » .

يتوقف لطفى الخولى قليلا ، ثم يلقى بقنبلة . . يقول :

«لقد كانت هناك رسالة أخرى كان مفترضا توجيهها إلى الرئيس عبد الناصر ، كتبت مسودتها بيدى . وأردنا جمع توقيعات عليها . وفى هذه الرسالة وجهت نقداً إلى الأجهزة وطالبنا بضرورة استثمار التيار الشعبي والتقدمى ونقده للسلبيات وللبيروقراطية ومقاومته للهزيمة . وأكدنا على الخط الذى أثرناه خلال المناقشات التى أجرتها مجلة الطليعة مع الرئيس عبد الناصر حينما افتتح المبنى الجديد للأهرام فى عام ١٩٦٩ . كما طالبنا كذلك بالحريات للمثقفين . وفى هذه المذكرة تعرضنا إلى مسألة تعيين الأستاذ هيكل وزيراً للاعلام واقترحنا إبقاءه رئيسا للتحرير . ولقد فاتحت الأستاذ هيكل فى أمر هذه الرسالة وإرسالها للرئيس ، وقد قرأها ووافق على ما فيها . وقال :

« . . . أنتم أحرار » ولكنه رفض التوقيع عليها نظراً لأن اسمه قد ورد فيها » .

. . يضيف لطفى الخولى . فيلقى بقنبلة ثانية . . يقول :

« لقد عرضت الرسالة على الأستاذ توفيق الحكيم وطلبنا منه التوقيع عليها فذعر ذعراً شديداً ورفض بشدة أن يوقع عليها . . وقال لى :

« أنا مالى ياعم » .

ثم سألنى عما إذا كان هيكل سيوقع عليها أم لا . ولما عرف أنه لن يوقع رفض مرة ثانية وقال لى :

« أنا هابعت رسالة لوحدى للرئيس علشان هيكل » .

وأرسل بالرسالة المنشورة فى الكتاب » .

على صبرى وتقرير ضياء الدين داود

.. يعيد لطفى الخولى ترتيب القصة من بدايتها .. فيقول :

« لقد كانت العملية من تدبير سامى شرف وشعراوى جمعه وعلى صبرى وكانت تهدف إلى ضرب الأهرام كمؤسسة . وضرب الأستاذ هيكل وإضعافه ذلك أن مراكز القوى لم تكن تحس بالارتياح نحو الأهرام وكانت مراكز القوى مصممة على تصفية مجلة الطليعة . ولقد ظهرت بوادر الصدام بين الأجهزة وبين اليسار الماركسى الموجود بالطليعة بشكل مبكر ، وخاصة بعد بيان ٣٠ مارس فالماركسيون أرادوا أن يكونوا لجان للبيان (أنظر ملحق مجلة الطليعة مارس (آذار) ١٩٦٨

كما أنهم كانوا محافظين على استقلالهم . وكانت هذه مسألة تثير مراكز القوى . أيضاً كنا على اتصال مباشرة بالرئيس عبد الناصر بواسطة الأستاذ هيكل . وأرسلنا للرئيس بآرائنا فى مناسبات

عديدة فى تقارير مكتوبة أعطيناها للأستاذ هيكل الذى كان يسلمها لعبد الناصر وهذه الصلة المباشرة بالرئيس كانت تثير حساسيات سامى شرف وعلى صبرى . فبدأوا فى تدبير المؤامرات وتزييف الحقائق لإثارة غضب عبد الناصر .. كانوا يريدون أن يتصيدوا أى شىء لتصفية هيكل .. وبدأت الأمور تتأزم بعد إلقاء القبض على الدكتور جمال العطيفى[1] عام ١٩٦٩ وكان الدكتور العطيفى عضوا بلجنة الوحدة الأساسية بالأهرام ـ لجنة العشرين ـ وكنت عضوا باللجنة واجتمعت اللجنة واتفقنا على ضرورة الحصول على توضيح من الاتحاد الاشتراكى لأسباب القبض على الدكتور العطيفى وفعلا اتصلت بالأستاذ ضياء الدين داود[2] ـ وطلبت مقابلته وذهبت إليه مع أعضاء اللجنة فى مكتبه بالاتحاد الاشتراكى وقلت له .. إن القاعدة تتساءل عن أسباب إلقاء القبض على الدكتور العطيفى خاصة وأنه عضو باللجنة .

رد على ضياء بقوله « إن الموضوع سياسى » فأصررت على ضرورة معرفة السبب . فقال لى :

---

(١) المستشار القانونى لمؤسسة الأهرام ووكيل مجلس الشعب حالياً .

(٢) كان وقتها عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وأمين الدعوة والفكر .

« إن الرئيس جمال عبد الناصر » . . فقلت على الفور : إننا لا نريد أن نزج بإسم الرئيس عبد الناصر فى المناقشة من بداية الأمر لأن ذلك معناه قفل باب المناقشة وبالتالى لن يكون هناك عمل سياسى ولن تكون هناك سياسة ولا غيره . ويجب استبعاد عملية إقحام إسم الرئيس ونناقش الموضوع مناقشة سياسية »

فقال لى ضياء : عندك حق . .

وبدأنا نتكلم . . وفى هذه الأثناء اتصل على صبرى تليفونيا ـ من مكتبه ـ بضياء الدين داود »

. . يقول لطفى الخولى :

« بعد اجتماعنا بالأستاذ ضياء الدين داود اتصل الرئيس عبدالناصر بالأستاذ هيكل . وقال له أن لطفى الخولى عمل مظاهرة فى الاتحاد الاتحاد الاشتراكى وأنه قال لضياء الدين داود . . « ماتسيبونا بقى من عبد الناصر هو كل حاجة الرئيس . ما كفاية بقى »

فقال له الأستاذ هيكل أنه يستبعد تماما أن يحدث ذلك من لطفى الخولى لأنه مسئول . ولا يعقل أن يقول ذلك ، وسيحاول معرفة الحقيقة . .

وحينما فاتحني الأستاذ هيكل فيما قال له الرئيس شرحت له ما حدث بالضبط . .

. . بعدذلك حدث تطور آخر كشف النقاب عن هذه العملية .. ففى مجلس الأمة . وبعد إحدى الجلسات . تقابل الأستاذ خالد محيي الدين مع الأستاذ ضياء الدين داود واستفسر منه عن حقيقة الحوار الذى دار بينه وبينى فى مكتبه بالاتحاد الاشتراكى . . فأخبره ضياء بما حدث بالضبط وتوجه خالد محيي الدين مع ضياء الدين داود إلى مكتبه واتصل من هناك بالأستاذ هيكل الذى حضر على الفور ، ودار نقاش مع ضياء داود عن هذه الواقعة . وسأله هيكل إن كان لطفى الخولى قد تفوه بالعبارات التى قالها الرئيس ؟ . . فأنكر ضياء بشدة أن يكون شيء من هذا حدث وروى الرواية الحقيقية وقال ضياء . أنه رفع تقريراً بذلك إلى السيد / على صبرى . . وعلى الفور أمسك هيكل بالتليفون وطلب الرئيس . وأخبره أنه يتكلم من مكتب ضياء وأنه ـ أى ضياء ـ ينكر تماما أن لطفى الخولى قال أى شيء مما قاله الرئيس عنه » .

. . يضيف لطفى الخولى مفسراً . .

« لقد اتضح أن السيد / على صبرى أوسامى شرف قاما بتزييف

تقرير ضياء الدين داود . والزج بألفاظ وكلمات لم اتفوه بها، ولم يكتبها ضياء نفسه فى تقريره ، وهى التى ذكرها عبد الناصر لهيكل ...

.. هذه حادثة » .

تزييف حديث الاكسبريس

« هناك حادثة ثانية توضح كيف كانت مراكز القوى تعمل على تزييف الحقائق لإثارة غضب الرئيس » .

.. يقول لطفى الخولى مستمرا فى حديثة :

« فى عام ١٩٧٠ تقابلت مع مراسل صحيفة الاكسبريس الفرنسية. كانت المقابلة فى مطعم جريدة الأهرام ـ على الغذاء ـ وأدليت بحديث إليه . فقد سألنى عن إمكانية حدوث مصالحة بين عبد الناصر وبين إسرائيل فقلت له أن ذلك غير ممكن . ولا يمكن لزعيم فى وطنية وحجم عبد الناصر أن يفعل ذلك . بل إن أى حاكم أو نظام لو فعل ذلك فسينهار . ونشر الحديث فى الاكسبريس

.. يقول لطفى الخولى :

« أتدرى ماذا حدث ؟ لقد فوجئت بحدوث تحريف خطير

للحديث وتم رفعه لعبد الناصر وهو مزيف ذلك أن مصلحة الاستعلامات[1] تصدر يومياً نشرة حمراء مكتوب عليها ليست للتداول — محظور — تقوم فيها بترجمة أهم المقالات والدراسات المنشورة فى الصحافة العالمية . وترجمت الحديث فى إحدى نشراتها . . ولكنها شوهته بطريقة مقصودة إذ قالت نقلا على لسانى . « أن النظام سينهار » وحذفت كل ما قلته عن عبد الناصر وقد أرسلت النشرة إلى عبد الناصر وبها هذا التشويه المتعمد ، لإثارته ضدنا . . « حدث هذا على الرغم من أن هناك شخصاً ثالثاً كان يتغذى معنا — أى معى ومع مراسل الإكسبريس ولم يكن بيننا رابع — هذا الشخص هو حاتم صادق[2] زوج إبنة عبد الناصر ـ السيدة هدى ـ ولم يكن المراسل يعرف من هو . . فهل كان يعقل أن أقول ذلك حتى لو افترضنا جدلا — صحته — أمام صهر عبد الناصر ؟ » .

* * *

(١) تتبع وزارة الإعلام .
(٢) سألت حاتم صادق عن هذه الواقعة فأكد صحتها .

التسجيلات دون علم ناصر

.. قلت للطفى الخولى : وقصة التسجيلات التى جاءت فى التحقيقات ما هى بالتحديد ؟

لطفى الخولى : لقد أرادت مراكز القوى اصطياد أى شىء . ولهذا وضعوا تسجيلات عديدة فى عدد من المنازل . فى منزلى وفى منزل الأستاذ خالد محيى الدين ولقد استمرت عملية التسجيل لمدة عام كامل . ولم تكن بأمر من عبد الناصر ومدة التسجيلات بلغت ٧٥ ساعة .. « خمسة وسبعون ساعة » وكنت مريضاً بالمنزل لإصابتى بكسر فى قدمى . وقد زارنى كثيرون ، تم تسجيل محادثاتهم ودردشاتهم . ومنهم ياسر عرفات . وخالد محيى الدين .

* * *

كيف علم هيكل بالقبض على لطفى

يقول لطفى الخولى :

« لقد صدر فى بداية الأمر قرار بتحديد إقامتى بالمنزل قبل أن أسجن وقبل التحقيق معى . والذى حدث أن الأستاذ هيكل فوجىء

بهذا الأمر لأنه عرف به من أحد الأشخاص بعد صدوره مباشرة وقبل تنفيذه فاتصل على الفور بعبد الناصر . . وقال له أننى قد سمعت بصدور الأمر بتحديد إقامة لطفى الخولى . . فأكد له عبد الناصر صحة الخبر . . وفى أثناء ـ التحقيقات عرفت أنه تم إلقاء القبض على زوجتى فثرت ودفعت المكتب لأقذف به فى وجه المحقق وكان السيد على نور الدين النائب العام . فانسكب الحبر على أوراق التحقيقات فأرسلت الأوراق وعليها الحبر لعبد الناصر حتى يراها » .

وفى النهاية ؟

يقول لطفى الخولى فى نهاية شهادته :

« لم تكن التحقيقات بسبب رسالة الحكيم مطلقاً » .

* * *

اشتراكى لا يهاجم الرجعية ؟

— قد يصبح البعض قائلين .

« عليكم اللعنة . . وهل كل من يهاجم عبد الناصر يعتبر رجعيا » ؟ .

. . أن ذلك قول لا يستطيع أى إنسان أن يقول به ولا يمكن أن نصم أى فرد يهاجم أو ينتقد عبد الناصر بأنه رجعى متعفن ، أو يمينى حقير ، أو عميل أمريكى مشبوه . . . . الخ إلى آخر هذه القائمة . من الاتهامات ، اللهم إلا إذا كان المهاجم رجعيا بالفعل فهو فى هذه الحالة يستحق أن يناله شىء من هذه الأوصاف والالقاب . أما إذا كان المهاجم أو المنتقد من الاشتراكيين فإن أحدا لا يمكن أن يعترض على إنتقاداته أو الاحتجاج على هجومه . وإلا كان معنى ذلك أننا نعتبر نظام عبد الناصر هو النظام الاشتراكى الأمثل

الذى لا نطمح فى الوصول إلى أبعد منـــه ، وأنه يعتبر نهاية التطور والتقدم .

وهذه مسألة لا يمكن قبولها أو تصديقها . ذلك أن نظام عبد الناصر لم يكن نظاما اشتراكيا ، وإنما كان نظاما يتحول أو يتجه نحو الاشتراكية ، وناصر نفسه أعلن ذلك ولم يزعم بأن النظام الموجود الذى يترأسه هو نظام اشتراكى كامل الاشتراكية .

وحتى لو وجدنا من يزعم أن نظام ناصر كان نظاما اشتراكيا ، فإن هذا القول لا يلزم إلا المؤمن به ولا يمكن أن يلزم باقى الاشتراكيين على اختلاف مذاهبهم .

ذلك أن فريقا من الاشتراكيين قد يرى أن نظام عبد النظام عبد الناصر لم يكن ثوريا واشتراكيا كما ينبغى ، وأنه أعطى الفقراء القليل وترك فى أيدى الاغنياء الكثير ، وكان عليه أن يوجه إلى الرأسماليين ضربات أشد قسوة وأكثر حسما .

وهناك من يرون أنه نظام يعبر عن البرجوازية الصغيرة وأنه أفاد الطبقة الوسطى أكثر مما أفاد العمال والفلاحين الفقراء ثم أنه نظام « معاد للطبقات الكادحة » .

وهناك من يرون أن السلطة السياسية كانت فى أيدى أعداء العمال والفلاحين ، ولم يكن لهم من يمثلهم تمثيلا حقيقيا داخل السلطة وفى أجهزتها التنفيذية والتشريعية . .

أخيراً . . هناك من قد يصل بهم الرأى أو الشطط إلى درجة القول بأن نظام عبد الناصر كان مؤامرة لقطع الطريق على الثورة الشعبية الحقيقية ، وأنه قام بتبنى شعارات الاشتراكية ليمنع قيام نظام اشتراكى حقيقى ويقدم بدلا منه نظاما اشتراكيا مزيفاً .

. . وهكذا . . فإننا سوف نجد أن نظام ناصر يمكن أن يتعرض للهجوم من جانب معظم الاتجاهات الاشتراكية وإنه لن يفلت من الكثير من الانتقادات المريرة وبالتالى فإننا لا يمكن أن نقول بأن أى مهاجم أو منتقد لنظام عبد الناصر ، أو لناصر نفسه ، يعتبر غير اشتراكى إلا إذا كان كذلك بالفعل لأن معنى ذلك قطع الطريق على أى محاولة لتقييم ونقد التجربة وكشف ثغراتها التى تسللت منها الرجعية حتى أصبحت لها اليد الطولى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وكذلك فإن منع نقد أو هجوم الاشتراكيين لن يعنى فى حقيقة الأمر إلا استمرار الرجعيين فى رفع الشعارات الاشتراكية والاختباء وراءها ، ذلك أن سخرية القدر شاءت أن يقوم الرجعيون بتصفية الاتجاهات التقدمية

ومحاولة سلب العمال والفلاحين حقوقهم تحت دعوى تطبيق الاشتراكية الحقيقية . . وأن يفتحوا الأبواب على مصراعيها أمام نمو الرأسمالية على حساب القوى الاشتراكية وزيادة فقر الفقراء وغنى الأغنياء تحت شعار «اشتراكية الغنى لا اشتراكية الفقر» : كما يحلو للسيد / على أمين أن يردد باستمرار .

. . . من الملاحظ أن المخطط الرجعى يعتمد فى هذه المرحلة على رفع شعارات ثورة يوليو وشعارات الاشتراكية ليستطيعوا تصفية كل ما تحقق من مكاسب تحت رايات ثورة يوليو ، فإذا منعنا الاشتراكيين من كشف هذه الخطط وكشف ثغرات نظام ناصر التى مكنت العناصر الرجعية من أن تفعل ما تفعله الآن . فإننا بذلك نعمل لحماية الرجعيين والمرتشين والمرتدين وهذا مر لا يمكن قوله بالمرة .

. . . إذن فقيام أى اشتراكى ينقد ناصر والهجوم على نظامه هو أمر واجب وبطبيعة الحال فإن الاشتراكى الذى يهاجم عبد الناصر لقصور نظامه وإجراءاته عن تقديم مكاسب أكبر للعمال والفلاحين ولأنه أبقى فى أيدى الرأسماليين وكبار الملاك الكثير فإنه يهاجم الرجعيين بقسوة وعنفاً أشد من التى يهاجم بها ناصر ، وكذلك فإن الرجعيين يكون عداؤهم لمثل هذا الاشتراكى أشد من عدائهم لعبد

الناصر . لأن الاشتراكى المهاجم لناصر يعمل على انتزاع الكثير مما فى أيدى كبار الملاك والأغنياء لتوزيعه على الفقراء بصورة أكثر عدالة ، والقضاء كلية على أوضاعهم الاستغلالية فإذا كان ناصر قد أعطى للعمال والفلاحين ٢٠ أو ٣٠٪ من المكاسب وأبقى للرأسماليين والاقطاعيين ٨٠ أو ٧٠ ٪ فإن منتقدى ناصر من الاشتراكيين يطالبون بانتزاع المزيد من الرأسماليين والإقطاعيين وكبار الملاك وإعطاء المزيد للعمال والفلاحين .

.. أيضاً من الأمور المنطقية والطبيعية .. إن منتقدى ناصر من الاشتراكيين يجب أن يدافعوا عنه ضد هجمات الرجعيين ويحافظوا على النسبة الضئيلة من المكاسب التى تحققت للفقراء فى عهده من أن يلتهمها الأغنياء ، ذلك أن خلافهم مع ناصر هو على نسبة ما تحقق لا على المبدأ ، بينما خلافهم مع الرجعيين خلاف حياة أو موت .. ذلك أن الذين يهاجمون ناصر من الرجعيين إنما يفعلون ذلك بسبب النسبة الضئيلة من المكاسب التى أعطاها للفقراء والتى يعتقد منتقدوه الاشتراكيون أنه كان يمكن أن يعطيهم أكثر وأكثر .

.. هذا ما نعتقد أنه أمر طبيعى ومفهوم ولا يعتبر مفاجأة أو شذوذاً .

.. أما إذا خرج علينا شخص ينتقد ناصر وعهده بمرارة وبشكل مستمر . ويقول أن العمال والفلاحين لم يحصلوا فى عهده إلا على ١٠ ٪ أو ٢٠ ٪ أو على الأكثر ٣٠ ٪ مما كان يجب أن يتحقق لهم وأنه خرب البلاد وأفقرها وأن الفلاحين لا يزالوا يعيشون كما كانوا من آلاف السنين دون أى تغيير يطرأ على حياتهم .. ثم لا نجده يتعرض من بعيد أو قريب إلى الحملات الرجعية الضارية التى تهاجم ناصر بسبب هذه النسبة الضئيلة من المكاسب التى لا يرضى عنها صاحبنا المهاجم . بل ونجد الرجعية تهلل وتطبل لهذا الاشتراكى المنتقد الغاضب أقول إذا وجدنا اشتراكيا كهذا فهذه هى المفاجأة بل أنها تعتبر أعجوبة من عجائب الزمان ، بحيث تستحق فعلا أن تضاف إلى عجائب العالم السبع بحيث تصبح الأعجوبة الثامنة .

.... إن هذا الاشتراكى المهاجم الغاضب هو الأستاذ توفيق الحكيم .

... أنه ومنذ ن بدأ حملته التشهيرية ضد عبد الناصر بكتابه عودة الوعى لم يكف عن مواصلتها لقد أخذت الرجعية تطبل وتزمر له وأخذ يهاجم ناصر ويعلن أنه اشتراكى قديم . بل وأخذ يغازل الشيوعيين علنا . . ولكن — وعلى الرغم من هذا الضجيج والصخب

فإن الشيء الثابت هو أن هذا الاشتراكى سكت عن محاولات الرجعية الانقضاض على مكاسب العمال والفلاحين وإن الرجعيين سكتوا عنه ولم يهاجموه كما يهاجمو أى اشتراكى .

وهنا علينا أن نتساءل

لحساب من يهاجم عبد الناصر وعهده ؟

ومع من يقف من الناحيـة الفعليـة . . . بعيداً عن الادعاءات اللفظية .

إن الإجابة التى لن يختلف عليها إثنان أو تتناطح فيها عنزتان كما يقول البلغاء — هى أن توفيق الحكيم يلعب لحساب الرجعية بوعى شديد . وأنه يلعب دوراً انتهازياً مكشوفاً ، وإذا كان بعض إخواننا الشيوعيين لا يريدون كشفه وتعريته والجهر بهذا الرأى مكتفين بترديده فى جلساتهم الخاصة . . فإن من الضرورى أن نقول بوضوح أن هذه الانتهازية ليس من صالح أحد مداراتها وإنما يجب كشف حقيقة توفيق الحكيم وفضح دوره ومواقفه على الأقل احتراما للأمانة العلمية واحتراما للحقيقة وللرأى العام .

.. إن توفيق الحكيم لم يهاجم عبد الناصر إلا لحساب الرجعية

وهو يقف من الناحية العملية مع الثورة المضادة ومع محاولات الرجعيين لسلب العمال والفلاحين حقوقهم الضئيلة التى حصلوا عليها . وتوفيق الحكيم لم يتجرأ طيلة حياته ويتخذ موقفاً محددا وواضحا من أية قضية وهو يريد أن يوهم الجميع برغم تناقضاتهم أنه معهم دون أن يلزم نفسه بأى موقف .

يقول توفيق الحكيم فى كتابه ص ٨٣ :

« وبمناسبة اليسار أرجو ألا يسمينى أحد يمينا أو يساريا فأنا لا يسارى ولا يمينى بمعنى أنى لا أستطيع أن أضع لافتة ولكن عندما تحاسبنى حاسبنى على هدفى فى الحياة وسأقول لك فى هذه الحالة هدفى مع التقدم لا مع التجمد ولا مع الرجعية ، التقدم ببلادنا العربية كلها والتقدم البشرى الإنسانى وما دمت قد قلت التقدم والتغيير المستمر والحركة المستمرة فلن يكون هذا فى الاتجاه اليسارى ، لكن لا زلت أصر على ألا يدعونى أحد يمينياً أو يسارياً لأن معنى هذا أنى أتقيد ببرنامج معين »

. . . هذا ما قاله الحكيم فى إحدى ندوات مجلة « الطليعة » ويبدو واضحاً بصورة لا تحتمل الشك عملية المراوغة الذكية من أن يحدد له موقفاً واضحاً . . . وهو يرفض أن يصفه أحد بأنه يمينى

أو رجعى أو يسارى ثم يقول أنه مع التقدم . والتقدم فى هذه الحالة يعنى اليسار والتجمد يعنى الرجعية ومن المنطقى أن نقول أنه يسارى لأنه مع التقدم الذى هو اليسار وأنه ليس رجعياً لأن الرجعية تعنى الجمود . ولكنه بعد أن يقول ذلك يعود للزوغان ويطلب عدم تصنيفه . .

. . إن الحجة التى يستند عليها هى أنه لا يريد التقيد ببرنامج معين ، وهذه حجة غير مقبولة . فكل قوة يسارية أو يمينية أو وسطية لها أيديولوجيتها ولها برنامج عمل ، والبرنامج الذى تضعه أى قوة أو أى حزب سياسى عادة ما يكون مثار خلافات ومشاحنات ومناقشات بين أفراد الحزب . والبرنامج يوضع لمواجهة ظروف معينة أو طارئة أو مرحلية أو لتحقيق أهداف فى فترة زمنية معينة وبالتالى فلا يصح الخلط بين البرنامج وبين العقيدة أو الإتجاه السياسى فالبرنامج متغير باستمرار والإتجاه والأهداف السياسية ثابتة .

.. البرنامج يوضع لخدمة وتحقيق الأيديولوجية وعملية الخلط التى يقوم بها توفيق الحكيم بين البرنامج والإتجاه السياسى والأيديولوجية هى عملية متعمدة حتى لا يلزم نفسه باتجاه سياسى محدد.

.. فتوفيق الحكيم لا يريد فى حقيقة الأمر أن يلتزم بأى اتجاه

ولا بأى برنامج ليحتفظ لنفسه بحرية المناورة والإنتقال من اليمين إلى اليسار حسب الظروف المتغيرة ، ثم ليضفى شرعية على تذبذبه المستمر .. فإذا قدم تدعيما صريحاً للرجعية وساندها فى حربها المقدسة ضد القوى التقدمية وأراد إخواننا اليساريون أن يعاتبوه .. قال لهم:

« ألم أقل لكم أننى لست يسارياً » .

وإذا ما وجد أن مصلحته تتطلب منه منافقة اليساريين ومجاملتهم وأراد أصدقاؤه وحلفاؤه الرجعيون معاتبته قال لهم :

« ألم أقل أننى لست يمينياً » .

* * *

.. سرعان مايقع توفيق الحكيم فى تناقض آخر غير مفهوم بالمرة فابتداء من صفحة ٩٣ وحتى صفحة ١٠٦ يورد لنا مقتطفات من كتبه تحت عنوان « اشتراكيتى من واقع كتاباتى المنشورة فى الثلاثينات والأربعينات » وهى مقتطفات من كتب « سلطان الظلام » طبعة ١٩٤١ — وكتاب تأملات فى السياسة وكتاب « تحت شمس الفكر » وكتاب « عصا الحكيم » .

.. وبعد أن يورد هذه المقتطفات كتب معلقاً وشارحاً لموقفه الحالى .

قال بالنص :

«هذه بعض آراء واتجاهات متصلة بالروح الإشتراكية مما أمكن استخراجه على وجه السرعة من الكتابات المنشورة قبل ١٩٥٢ وهى الكتابات المباشرة الخارجة عن نطاق المؤلفات الفنية فى الرواية والقصة والمسرحية ذلك أن الكتابات المباشرة هى التى يعتمد عليها فى تحديد الموقف الاجتماعى للكاتب أما العمل الفنى فقد يختلط فيه موقف الكاتب بمواقف أشخاص روايته أو قصته أو مسرحيته وهذا ما جعلنى أستبعد هنا كل أعمالى الفنية ولا أعتمد إلا على الكتابات المباشرة وحدها حتى وإن كانت بعض الأعمال الفنية تعالج بالفعل بعض النواحى الاجتماعية وكان لها من التأثير ماظهرت نتائجه .

وبعد . فما هو الموقف الآن ؟ وخاصة بالنسبة إلى شيخ مثلى فى المرحلة الأخيرة من العمر ؟ هل أسكن إلى الراحة ولى الحق فيها الآن ؟ أو أبذل ما بقى لى من عمر وأنفاس فى المشاركة بالجهد الضئيل فيما أتوقع مجيئه من أحداث ؟

ثم أن بلادنا مقبلة على تغيرات اجتماعية لا بد منها للسير فى طريق التطور الحتمى وأن ما أخشاه هو أن تضيع فرصة التقدم الحقيقى مرة أخرى فى متاهات تغوص فيها الأقدام وأن يفشل أصحاب النوايا الطيبة

فى غرس اشتراكية حقيقية بعيدة عن الشعارات الكلامية تنفع الشعب حقاً وتحمى حقوق الملايين من الكادحين والمحرومين وترتفع بمستوى اقتصاد شعبنا (كما نصحنا خروشوف) ومستوى ثقافته ورفاهيته.. ألخ إنى أضع يدى فى يد من يسير بنا فى هذا الطريق.. وتحت تصرفه أودع رصيدى الباقى من الطاقة القليلة والصحة الضعيفة.. لقد حقق عبد الناصر شيئاً من الإشتراكية وكان من الطبيعى والمنطقى أن أنوه بذلك وأضخمه. أنا بالذات -- لأنه كان يعلن أن قرأنى وتأثر بى.. إلى حد وصفته بعض الكتب الأجنبية بأنه تلميذ أفكارى. وكان من مصلحتى الشخصية إذن أن أستغل هذه الصفة وأضخمها بتضخيم منجزاته ولكن مصلحة مصر المتجددة هى فى ألا نقنع ونتجمد على هذه الإشتراكية المزيلة وأن تعلم أنه قد ضيعت فرصة الإشتراكية الحقيقية حتى تهب مرة أخرى تطالب بها. والدوام دائماً لمصر».

.. يعود توفيق الحكيم مرة أخرى ليعلن لنا أنه اشتراكى يريد اشتراكية حقيقية وكاملة. وليست من صنف اشتراكية ناصر المزيلة التى يرفض التنويه بها لأنها أقل مما كان يجب أن يتم. وهذه مسألة تعنى أنه قد حدد موقفه نهائياً. هو أنه مع التيار الإشتراكى الحقيقى

وهذا يتناقض كلية مع ما سبق وقاله من أنه يرفض أن يسميه أحد يمينياً أو يسارياً .

.. كما أن كلامه عن أنه يضع يده فى يد من يسير بنا فى هذا الطريق يعنى بداهة أنه يوافق على التقيد ببرنامج لتحقيق الاشتراكية وتطبيقها بشكل أفضل وأعمق .. بينما نراه يرفض - فى الصفحات السابقة - أن يتقيد بأى برنامج ؟

.. هل يثور الحكيم على ناصر بسبب اشتراكيته المزيلة ؟

.. ولو كان هذا صحيحاً لكان علينا أن نشاركه الثورة ضد عبد الناصر ونظامه ؟

.. هل نثور ضد ناصر ؟

نعم .. طالما أن الثورة من أجل الفقراء والمحرومين ، ومن أجل مزيد من المكاسب للعمال والفلاحين . . إن الفقراء يستحقون أن يثور من أجلهم كل إنسان شريف أو عنده ذرة من الضمير والأخلاق لأن الحق - حتى الحق الإلهى - فى جانب الفقراء والمساكين والمحرومين وضد المترفين . . وأن تكون هذه الثورة ضد الملك فاروق أو ضد ناصر أو ضد أى حاكم اخر فإن الأمر تستوى مادام مبررها الدفاع عن ملايين الفقراء .

.. ولـكن هل يثور الحـكيم ضد عبد الناصر لهذا السبب فعلا؟ ولأجل ملايين الـكادحين ؟

.. هذه هى الأكذوبة الـكبرى التى لا يمكن تصديقها .

.. إن توفيق الحـكيم لم يدلل على صدق كلامه أبداً وإنما كان يأتى بالعكس .

فهو شارك فى أعمال جمعية اسمها « جمعية أبناء مصر » تضم العناصر الرجعية التى تـكن كراهية مميتة ضد الفـكر الاشتراكى والتى لم تقم إلا لتجميع العناصر الرجعية ومحاربة الاشتراكية والتى ترفض أن ترفع شعار الاشتراكية وتحظى برعاية من مصطفى أمين والتى يرأسها أحد الطلاب الذى تثور حوله الشكوك .

إن أعضاء جمعية أبناء مصر الرجعية المعادية لأى فـكر اشتراكى هم الذين وضع الحـكيم يده فى أيديهم .

وبعد ذلك يريد منا أن نصدقه ؟

وتوفيق الحـكيم الذى يلوم عبد الناصر بسبب اشتراكيته المزيفة والقدر الضئيل الذى قدمه للجماهير ، ويجد أن ذلك مبرر كاف لـكى لا يقول كلمة حق أو مدح فى ناصر — وإنما يجد ذلك مبرراً لاستمرار الهجوم عليه .

توفيقا الحكيم الذى يقول ذلك أليس من حقنا أن نسأله .

وما الذى فعلته يا أيها الاشتراكى الحقيقى للوقوف فى وجه محاولات الرجعية لتصفية اشتراكية ناصر الهزيلة ؟

إن موقفه يدعو للخزى والعار .

. . ولا كلمة . . ولا سطر كتبه ليدين به محاولات الرجعيين وكبار الملاك داخل مجلس الشعب الذين أصدروا قانونا يمكن الملاك الكبار من طرد الفلاحين الفقراء من الأرض وينسفون به قانون الإصلاح الزراعى الذى أصدره ناصر . . لقد كانت مهزلة لا يمكن تخيلها أن يقوم ثمانون عضواً من أعضاء مجلس الشعب من أصل ثلاثمائة وستون عضواً — بإصدار هذا القانون فى شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٥ وارتفعت الصيحات المجنونة والحاقدة داخل القاعة . . أحدهم وهو العضو المحترم الفاضل المحامى عبده مراد . قام ليصف قانون الإصلاح الزراعى بأنه قانون الإصلاح الشيوعى وأنه مستورد وأحدهم وهو العضو المحترم والإنسان أحمد يونس الذى كان أحد مدبرى هذه المهزلة وقف ليطعن اشتراكية ناصر . . وليعلن أنه اشتراكى . . وباسم الاشتراكية استمات ليمكن كبار الملاك من طرد الفلاحين البؤساء .

.. ماذا كتب توفيق الحكيم ليدين هذه الهجمة البربرية التى شنها كبار الأغنياء المتخمين بالأموال ، والذين وصلت دناءتهم وحقارتهم وانحطاطهم الأخلاقى وتدنى نفوسهم الوضيعة بأكثر مما هى متدنية إلى الدرجة التى يحسدون فيها الفلاحين البؤساء على القروش القليلة التى فى جيوبهم وعلى اللقم اليابسة التى فى أفواههم وعلى أكواخهم الحقيرة التى يسكنون فيها ويريدون سلبهم هذه القروش وانتزاع اللقم اليابسة من أفواههم وطردهم من الأرض وتشريدهم .

.. ولا كلمة كتبها الاشتراكى الحقيقى ليحتج فيها على هذه الجريمة .

ويريد أن يقنعنا أنه اشتراكى ؟

.. ما الذى كتبه الحكيم ليهاجم محاولات الرجعيين لتصفية القطاع العام وبيع مصانعه وشركاته للرأسماليين ولرأس المال الأجنبى وطرد العمال منه ؟

.. ولا كلمة ولا سطر .

ما الذى كتبه الحكيم ليهاجم به الانحطاط الذى وصلت إليه الثقافة فى مصر .

والفساد والدعارة الذى أصبح طابع أفلامنا السينمائية والحرب القاسية ضد الفكر الجاد والتيارات التقدمية فى الثقافة والإعلام .

.. ولا كلمة ولا سطر كتبه الاشتراكى الحقيقى . ليصرخ فى وجه للمرتدين والمنحطين الذين يريدون سرقة المكاسب المزيلة التى أعطاها ناصر للفقراء !

وبعد ذلك يعتقد أننا من الغفلة بحيث نصدقه ونصدق ادعاءاته بأنه اشتراكى ؟

.. لقد استحق منه عبد الناصر الهجوم والتشهير والتجريح بسبب اشتراكيته المزيلة . بينما لم يحظ الرجعيون منه بأى كلمة أو سطر يهاجم فيها محاولاتهم لسرقة مكاسب ناصر المزيلة !

.. لماذا يستأسد الحكيم على زعيم وطنى كعبد الناصر يرقد جثمانه دون حركة يطويه القبر بظلمته الموحشة ويغرس أنيابه فيه . ثم يفقد شجاعته أمام الرجعيين وأمام المطالبين بتصفية الإنجازات الاشتراكية والمتسببين فى تدهور الثقافة والأخلاق وإشاعة الفساد فى البلاد ؟

.. هل يخاف منهم ؟

وهل يعقل أنه يخاف من أشخاص أقل قامة منه .

ما السبب إذن ؟

مرة أخرى . . مالا يختلف عليه اثنان أو تتناطح فيه عنزتان كما يقول البلغاء هو أن توفيق الحكيم يفعل ذلك لأنه قلباً وقالباً مع الهجوم الرجعى ضد كل الإنجازات الاشتراكية ولأنه موقن بأن الرجعية ستنتصر وبالتالى لا يريد توريط نفسه فى معركة خاسرة بجانب التقدميين .

. . إن ما يحدث الآن لا يستحق استنكار التقدميين وحدهم ، وإنما يستحق استنكار كل شخص يرفض الابتذال والردة . . فى الوقت الذى لاذ فيه توفيق الحكيم الاشتراكى الحقيقى بالصمت فإن أقلاماً عديدة انبرت تتصدى لما حدث فى مجلس الشعب من الانقضاض على الإصلاح الزراعى وتعريض حياة ملايين الفلاحين ومصيرهم للتشرد وتزعمت مجلتا روزا اليوسف والطليعة لواء المعارضة وهاجمتا دون التواء مجلس الشعب وجلسته الهزلية والقانون ـ الردة ـ الذى وافق عليه . . وكتب بعض الكتاب الشبان فى جريدة الجمهورية بينما صمتت صحف ومجلات أخبار اليوم والأهرام ومجلات دار الهلال وكأن شيئاً لم يحدث . مع أن المفروض أن هذه الصحف والمجلات

تتبع الاتحاد الاشتراكى المفترض فيه هو الآخر تمثيل العمال والفلاحين والذى صمت كالأموات .

.. كذلك تصدى الكثيرون من الكتاب ومن العمال لمحاولات بيع القطاع العام .

ومع ذلك لم يتفوه الأستاذ الحكيم بأى كلمة بينما نراه يؤلف الكتب ويحضر الندوات ويدلى بالأحاديث ليهاجم عبد الناصر !!

الشيوعيون واحتواء الحكيم

حينما صدر كتاب عودة الوعى ، كان الأستاذ توفيق الحكيم موقنا — فيما يبدو — بأنه لن يقابل بأى معارضة جدية . بالعكس سيلاقى الاستحسان والتشجيع . . فالموجة الرجعية المعادية لعبد الناصر ظن أنها من القوة والاندفاع لدرجة أنها تنذر بنذر كثيرة ، أقلها أنها سوف تكتسح أى شىء يعترض سبيلها . وأن المستقبل لها . وكل الظروف تجعل من الدفاع عن عبد الناصر فى وجه هذه الموجة الرجعية عملا مستحيلا ويائسا ، باختصار . يبدو أن الحكيم قد اعتقد أن قد قضى الأمر ، واستتبت الأمور للرجعية . فأراد ألا يفوته القطار فتقدم لينصب نفسه كأكبر مهاجم لناصر ولعهده ولأعماله ، مما دفعه إلى اللجوء للتشهير والسطحية والتسرع فى إصدار الأحكام .

وبالفعل . فلقد استقبل الرجعيون كتاب الحكيم بفرح شديد وهللوا له وطبلوا وزمروا .

.. أيضاً — كان واضحاً أن الأستاذ توفيق الحكيم واثقاً ، من أن الشيوعيين لن يعترضوا على عمله هذا ، اعتماداً على أنهم قد تعرضوا للسجن والتعذيب فى إحدى المراحل . وإذا كانوا قد صمتوا عن الهجوم على ناصر بل وأيدوه فمن باب اتقاء شره وأذاه . ولهذا فإنهم سيشاركونه — أى يشاركون الحكيم — فى هجومه على ناصر وستكون تلك فرصتهم العظيمة للثأر منه . . أو سيصمتون عن الحكيم فى أسوأ الأحوال . . وبالتالى — فإن الحكيم قد أصاب عصفورين بحجر واحد . فهو قد ضمن تأييد الرجعية وحماستها له . وضمن سكوت الشيوعيين عنه . وأنهم لن يهاجموه خاصة وهم يتمترسون فى مجلة شهرية ـ الطليعة ـ وهى مجلة مؤثرة وحسنة السمعة . ولهم نفوذ فى مجلة روزا اليوسف .

.. ولكن خابت تقديرات الأستاذ توفيق الحكيم . ذلك أن الرجعيين وحدهم هم الذين أيدوه ، وهللوا لكتابه ، واستحسنوا حملة التشهير المشينة التى قام بها ضد ناصر ، وحيوه بحرارة على انقلابه على عقبيه من مؤيد كبير لناصر إلى أكبر متهجم عليه . . أما التقدميون فقد أعلنوا دهشتهم واستنكارهم لذلك . كما أبدوا امتعاضهم وأسفهم لهذه النهاية المحزنة التى اختار الحكيم أن يركن إليها ويختتم بها حياته.

.. ولم يذعر الحكيم من شىء قدر ذعره من هجوم الغالبية الساحقة من الشيوعيين عليه ، واستيائهم من موقفه ، وخاصة حينما بدأ عدد منهم فى منازلته ، لقد كان موقف الشيوعيين ـ موقفاً شريفاً ومشرفاً لهم فى نفس الوقت ، ذلك أنهم هبوا مع غيرهم من التقدميين للدفاع عن إيجابيات عبد الناصر ، ورفضوا رفضاً باتاً هجوم الرجعية ضده ـ عدا قلة قليلة منهم لاتستحق إلا الاحتقار بسبب انتهازيتها ـ وأدانوا الحملة الرجعية . وأثبت الشيوعيون بذلك أنهم ليسوا على استعداد بالمرة لأن يستعرضوا جراحهم وندوبهم فى الأسواق لينالوا الفتات على مائدة الرجعية ، كما رفضوا أن ينصبوا مأتماً ليصرخوا ويولولوا فيه على رفاقهم الذين قتلوا فى السجون .. وأنه إذا كانت التجارة قد شملت حتى الأخلاق والذمم والشرف والحقيقة فى أيامنا هذه ، فإن المناضلين الحقيقيين لا يمكن أن يتاجروا بما عانوه ولا يمكن أن يسعوا ليقبضوا ثمن سنوات السجن .

ما الذى أكده الشيوعيون كذلك ؟

أكدوا أنهم لم يؤيدوا عبد الناصر ـ بدافع الخوف ، ولا بدافع الرغبة فى الحصول على المناصب والمرتبات الكبيرة ، أى أن ناصر لم يشترهم وأنهم لم يؤيدوه عن انتهازية .. لأنهم لو كانوا كذلك ـ

لبادروا بالانقلاب عليه بسرعة بعد أن مات وولت أيامه . . على الأقل كانوا يستطيعون التمحك بما نالهم من سجن وتعذيب . وهى حجة قد تكون مقنعة من الناحية الشكلية ساعة الحساب ولكنهم أبوا أن يفعلوا مثلما فعل الذين استفادوا من عبد الناصر ، والذين كانوا من كبار مؤيديه . وانقلبوا عليه بلا رحمة حينما أدبرت الدنيا وأشاحت بوجهها . وعلى رأسهم توفيق الحكيم . . مؤكدين ـ أى الذين هاجموا ناصر ـ على أن الانتهازى لا موقف له . وأنه على استعداد لأن يدوس على المبادىء وعلى القيم فى سبيل مصلحته الشخصية .

ومن ضمن ما أثبتته غالبية الشيوعيين أن الاشتراكى الحقيقى ، والمناضل الحقيقى ، هو الذى ينسى آلامه وذكرياته الشخصية حتى وإن كانت مؤلمة ودامية ويسمو فوقها ـ فى سبيل قضية الاشتراكية. أى فى سبيل المبدأ . والذى يتكاتف مع غيره من الاشتراكيين ـ على الرغم من أى خلافات أو حزازات ـ ضد القوى الرجعية . . وبالتالى فإن الدفاع عن ناصر فى مواجهة الحملة الرجعية يعتبر عملا سياسياً ونضالياً بالنسبة لأى إنسان اشتراكى ، ويتطلب نسيان أى شىء حتى وإن كان مؤلما .

. . هل حاولنا مغازله الشيوعيين بهذا المديح ؟

على كل حال . فهم يستحقون ذلك بسبب موقفهم .

— المهم أن توفيق الحكيم أراد أن يتقى خطر الشيوعيين ويأمن من هجماتهم ضده ، وفى نفس الوقت يحتفظ لنفسه بالحظوة التى نال شرفها لدى الرجعيين . أى ينال رضا النقيضين معاً . . وهذه مسألة تحتاج إلى قدرات هائلة ، وإلى بهلوانية عجيبة ولكنه اهتدى إلى حيلة ماكرة وأن كانت تتصف بالسذاجة . وهى أنه قد بدأ يغمز مغازلا الرجعيين بعين ، ويغمز مغازلا الشيوعيين بالعين الأخرى ، وأن يخرج لسانه ليغيظ به الناصريين ! !

فقد أعلن أنه اشتراكى صميم وقديم . وأنه مع التقدم ، وبما أن التقدم يعنى اليسار . فهو مع اليسار . وإن كان لا يحب أن يلصق به هذا الاسم ! أعلن ذلك فى الندوات العديدة التى نظمتها مجلة الطليعة ليتحاور فيها اليسار المصرى مع توفيق الحكيم ليتحاور فيها اليسار المصرى مع توفيق الحكيم . وأخذ يغازل الشيوعيين ويحاول تحريضهم ضد عبد الناصر فى نفس الوقت ويحذرهم من الدفاع عنه ، أيضاً — فى نفس الوقت — لم يدل بأى كلمة ضد الرجعية وضد الرجعيين . . . وهكذا . . ففى الوقت الذى حظى فيه الشيوعيون بالمغازلة وبالملاطفة

والمؤانسة ، وفى الوقت الذى حظى فيه الرجعيون بالصمت والتجاهل فإنه أطلق لسانه على عهد عبد الناصر وتجربته ، تجريحا وتشهيراً .

. . يعلن الحكيم أمام الشيوعين أنه اشتراكى ومؤيد لهم . ولكنه لا يتحدث عن محاولات الرجعيين للانقضاض على كل ماتحقق من انجازات للجماهير . بينما يستمر فى حملته المضادة لعبد الناصر ، كأن بينهما « ثأر تاريخى » يقوم الحكيم بتسوية حساباته . .

. . وهذه الخطة من شأنها أن ترضى الشيوعيين وأن تثير غرورهم على أساس أنهم نجحوا فى انتزاع اعترافات علنية من توفيق الحكيم بأنه اشتراكى ، وأنه مع اليسار الذى هو التقدم . وعلى أساس أنهم نجحوا فى عدم تمكين الرجعية من أن تستغل توفيق الحكيم ضد القوى التقدمية أو منعه من أن يلقى بنفسه نهائيا فى أحضان اليمين . . وشىء من هذا ـ أو قريب منه ـ تردد على لسان عدد من الشيوعيين . . وعلى كل فما يرضى الشيوعيون ويثير بهجتهم لا يعنى بالضرورة إغضاب الرجعيين وإثارة غيظهم . لأن المهم هو إثارة غيظ الناصريين أساساً والهجوم عليهم . ولأن المهم هنا هو ضرب عبد الناصر وتصفية تجربته ، وهى ليست تجربة الشيوعيين على أى حال .

.. فإذا غازل توفيق الحكيم الشيوعيين ومدحهم وتزلف إليهم فإن ذلك لن يغضب الرجعيين .

.. لماذا ؟

.. لأن توفيق الحكيم أمن شر الشيوعيين ولأنه يعمل «الدق إسفين» بينهم وبين الناصريين ولأنه لم يهاجم الرجعيين .. ثم . وهو الأهم . استمر فى هجومه على عبد الناصر . وبالتالى فإنه لا يمكن أن يتلقى اللوم أو التوبيخ من أصدقائه وحلفائه الرجعيين ، الذين هم على استعداد لأن يغفروا له أى شىء وكل شىء . إلا شيئاً واحداً . وهو أن يقول كلمة انصاف موضوعية فى عبد الناصر ، .. وللأمانة فهو لم يتفوه بها فى حواره مع الشيوعيين . ولهذا فهو يعتبر سلاحا رجعيا مفيدا ، وأكثر فائدة من أحمد أبو الفتح . ومصطفى أمين وعلى أمين . وصالح جودت وإبراهيم الوردانى ـ وغيرهم من ساقطى الفكر والثقافة على الأقل فهؤلاء وغيرهم مدانون وتاريخهم لا يؤهلهم لاقناع الناس . أما توفيق الحكيم فإنه إذا نجح فى إثارة الانقسام بين الشيوعيين و بين الناصريين :وإذا ماضمن سكوتهم عنه فى استمراره فى حملته الصليبية ضد عبد الناصر . فإنه يكون بذلك اذكى وأنجب الرجعيين وأشدهم خطرا ـ ويكون قد نجح فيما فشل فيه غيره ..

وهو إثارة الفرقة والانقسام فى صفوف القوى الاشتراكية. أو تحييد بعض الاشتراكيين بالنسبة له . . وفى نهاية الأمر، فإن الشيوعيين هم الذين يكونون قد وقعوا فى الفخ، دون أن ينجحوا فى إيقاع الحكم فى نخهم، أى فى إبعاده عن الرجعية، وعدم تمكينها من استغلاله ومنعه من الارتماء فى أحضانها بشكل نهائى .

. . لقد رفض توفيق الحكيم بأصرار يثير الدهشة والاعجاب أن يهاجم الرجعيين ويدين محاولاتهم لتدمير عبد الناصر ، وتجربته وفى تصفية كل المكاسب التى حصل عليها العمال والفلاحون الفقراء، فى الوقت الذى أعلن فيه للشيوعيين عن اشتراكيته ويساريته وتقدميته ! !

* * *

— يبدو موقف إخواننا الشيوعيين من توفيق الحكيم غير مفهوم إلى حد كبير . ذلك أنهم نظموا له ندوات استمرت عدة أشهر . واختاروا لها عنوانا هو « اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم » نشرت كلها بمجلة الطليعة وكان الهدف المعلن للحوار ، هو تقييم تجربة عبد الناصر . ومحاولة الخروج بتصور عن المستقبل . أو الخروج ببرنامج عمل للقوى التقدمية والوطنية . ولم يكن مفهوما بقدر

معقول ، سر هذا التشبث بفتح ملف التجربة مع توفيق الحكيم بالذات .

.. لقد كان السبب المعلن هو أن توفيق الحكيم - قد وجه رسالة إلى اليسار المصرى على صفحات مجلة روز اليوسف بعددها الصادر فى ٢١ أكتوبر ١٩٧٤ . « يرد فيه على الانتقادات التى وجهت إليه من جانب بعض الأقلام اليسارية والتقدمية ، بعد أن صدر كتابه « عودة الوعى » وفى هذا الخطاب أكد توفيق الحكيم أنه مع التقدم واليسار فى بناء مصر متطورة . مزدهرة وليس مع قوى التخلف والرجعية .

— هذا ما جاء بمجلة الطليعة بعددها الصادر فى أول سبتمبر عام ١٩٧٥ وتكمل المجلة كيف نشأت فكرة الحوار .. فتقول :

« ولما كانت هيئة تحرير الطليعـــــة تدرك أن الكاتب الكبير بتاريخه . بمواقفه ، واتجاهاته الفكرية وعمله الطويل لإثراء حياتنا الثقافية لا يمكن يقف - فى النهاية - فى صفوف قوى الردة ، فقد بادر رئيس التحرير لطفى الخولى ووجه إلى الحكيم خطابا دعاه فيه إلى فتح ملف التجربة ، واستجاب الحكيم بحماس لم يتخلف

مرة بل لقد انتظم فى حضور جلسات الندوة على الرغم من طولها وربما تفوق فى هذا الانتظام على كثيرين من المشاركين فيها » .

. . وهكذا بدأت عملية الحوار مع توفيق الحكيم والتى كانت تنشر تباعا ـ كل شهر ـ وانتهت فى شهر سبتمبر ١٩٧٥ .

. . هناك عدة ملاحظات . منها على سبيل المثال (أن الأستاذ لطفى الخولى ، حين وجه رسالته لتوفيق الحكيم عارضا عليه بدء الحوار . بعد أن وجه الحكيم رسالته إلى اليسار المصرى من فوق صفحات « مجلة روزاليوسف » . اعتقد أن الحكيم وجه بالفعل رسالة . وهذا ليس صحيحا . . أما حقيقة الأمر . فهى أن الناقد الأدبى الشاب عبد الرحمن أبو عوف — وهو ماركسى . وصديق للأستاذ توفيق الحكيم — كان يرى أن الرجعية المصرية تحاول استغلال كتاب « عودة الوعى » واستغلال توفيق الحكيم بحجمه الهائل وتراثه الكبير . فى معركتها ضد الناصريين وضد كل القوى التقدمية ، وأن من الواجب تفويت الفرصة عليها ، عن طريق عدم تمكينها من استثمار كتاب « عودة الوعى » وهذا ممكن بواسطة أن يعلن توفيق الحكيم عن مواقفه التى تختلف عن مواقف الرجعيين . فقام بإجراء حديث معه . للنشر بمجلة « ر . زاليوسف » . وبالفعل

قام بتسليم الحديث إلى الأستاذ صلاح حافظ رئيس تحرير المجلة ، على أساس أنه سينشر كحوار ورسالة . ولكن صلاح حافظ حوله إلى الشكل الذى ظهر به . وهو أن الأستاذ توفيق الحكيم بدأ ملى رسالة على صديقه عبد الرحمن أبوعوف موجهة إلى اليسار المصرى .. وهذا ـ ربما ـ ما جعل الأستاذ لطفى الخولى يعتقد بأن الحكيم يريد فتح حوار مع اليسار ، فبادر ـ بناءاً على ذلك ـ بتوجيه الرسالة لتوفيق الحكيم يدعوه للحوار . .

. . هذه الملاحظة قد تبدو غير ضرورية . ولكن ذكرها ضرورى لتوضيح أن الحكيم لم يكن يقصد بالمرة توجيه رسالة لليسار المصرى . ولا الرغبة فى فتح حوار معه . أى لم يتخذ أى مبادرة ـ والمبادرة جاءت من عبد الرحمن أبو عوف ـ وفى شكل حوار صحفى رأى صلاح حافظ أن ينشره كرسالة موجهة أساسا من الحكيم إلى اليسار أملاها على صديقه أبو عوف .

.. وأما الملاحظة الثانية على الحوار. فهى اقتصاره على الماركسيين وحدهم. باستثناء أحمد عباس صالح الذى يعتبر من اليسار غير الماركسى. وهذه مسألة غير مفهومة لأن اليسار يضم أجنحة عديدة كالناصريين الذين يعتبرون أضخم القوى . والماركسيين وكثير من اليساريين

غير الناصرين وغير الماركسيين . وهكذا غاب الناصريون عن الندوات التى تتعرض بالتقييم والتحليل إلى تجربتهم ومواقفهم . وأصبحت الندوات حوارا بين الحكم وبين اليسار الماركسى وحده. وباختصار فإن الماركسين هم الذين يقومون من جانبهم بتقييم التجربة وفتح ملفاتها . وهذا خطأ من نواح عدة . .

. . خطأ ، لأنه كان عليهم أن يتحاوروا أصلا مع رفاقهم الناصريين ، ليكون الحوار مفيداً للجميع ، خاصة حينما يدور بين قوى اليسار المصرى الأساسية . . . الناصريون والشيوعيون حول التجربة وأخطاؤها وسلبياتها . والقضايا والمهمات الحاضرة ، والنظرة للمستقبل . . ولقد أثار غياب الناصريين تساؤلات عديدة . مثل :

هل رفضوا حضور الندوات ؟ أو.هل منظموا الندوات هم الذين رفضوا دعوتهم وآثروا اقتصارها عليهم وحدهم ؟

.. يقولون فى مجلة الطليعة . أن الحوار كان مفتوحا للمفكرين والكتاب اليساريين ـ ومنهم الناصريين للحضور والمشاركة وهذه مسألة يبدو أنها غير مقنعة . لأنه كان على الذين نظموا الندوة وأعدوا لها أن يقوموا بتوجيه الدعوة إلى عددمن قيادات الناصريين.

. . هناك من يجيب بأنه كانت هناك فكرة لدعوة الأستاذ

محمد حسنين هيكل - ولكن تعذر ذلك لأسباب عديدة منها انشغاله بالسفر ولأسباب أخرى - كما أن منظمى الندوة أرادوا دعوة الأستاذ محمد عوده . الذى يعتبر من الناصريين البارزين ، وهو صاحب كتاب « الوعى المفقود »(1) الذى رد فيه على كتاب توفيق الحكيم .. « عودة الوعى » . . كما أنه - أى محمد عوده - يسجل له استبساله فى الدفاع عن عبد الناصر بشكل مبكر ضد الهجمة الرجعية وهى فى عنفوانها . . إلا أن الأستاذ توفيق الحكيم قد اعترض بشدة على دعوته بل وهدد بالإنسحاب من الندوات إذا حضر ونتيجة لذلك رؤى الإستجابة لشرط الحكيم .

ونحن لا ندرى سبباً لهذا الموقف من الحكيم طالما أنه راغب فى الدخول فى حوار ومناقشات حول التجربة ، ولكن قد يكون لمجلة الطليعة العذر فى الاستجابة لرغبة الحكيم على أساس أن وجوده ضرورى لأن الحوار كان معه أصلا .

. . حدث كذلك أن حضر إحدى الندوات ممثل عن جريدة « الطلاب(1) » هو محمد سليمة . وأحد الشباب الناصرين وهو حمدى

---

(1) صدر فى مصر - عن طبعتين - عن دار القاهرة للثقافة العربية .
(2) جريدة نصف شهرية يصدرها اتحاد طلاب مصر وهى ناصرية .

ياسين ولـكنهما لم يحضرا بعد ذلك .

.. أيضاً لا نعرف لمـاذا لم يتصل منظموا الندوة بالأستاذ كمال الدين رفعت والدكتور عبد الـكريم أحمد والأستاذ حاتم صادق على سبيل المثال . كما أن هناك كثيراً من العناصر الناصرية من الـكتاب الشبان .

.. فإذا كان قد تعذر دعوة الأستاذ محمد حسنين هيكل والأستاذ محمد عودة فـكان من الواجب دعوة آخرين غيرهما .

— ومن الأخطاء الأخرى لاقتصار الندوة على الماركسيين ، هو أن الرفاق المـاركسيين إذا كان فى نيتهم أن يقوموا بعملية نقد وتقييم لتجربة عبد الناصر ، وإعلان وجهات نظرهم فيها ، ونظرتهم للمستقبل فقد كان عليهم أن يعلنوا بوضوح أن هذا الحوار هو بين توفيق الحكيم وبين اليسار الماركسى . أما أن يقولوا أنه حوار بين الحكيم واليسار المصرى ، فهذه مغالطة ذلك أنهم لا يمثلون إلا أحدى فرق اليسار المصرى . وهناك كثير من الفرق اليسارية غير الماركسية . وعلى رأسها الناصريين . . وهؤلاء لم يحضروا الندوات ولم يشاركوا فيها . . وبالتالى فما ورد من مساجلات فى الندوة ـ لا يعبر بأى حال عن وجهات نظرهم ويترتب على ذلك مسألة على جانب كبير من

الأهمية — وهى أنه إذا كان هدف الحوار الخروج ببرنامج عمل . وهو ما حدث فى عدد سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ . فهنا نقول : لقد كان ذلك أدعى لأن تعلن الطليعة بأن الحوار هو بين الحكيم وبين اليسار الماركسى . حتى نعرف بأن البرنامج ماركسى بالضرورة ولا يعبر إلا عن الماركسيين وحدهم . وبالتالى . فإنه لا يلزم غيرهم به لأنه ليس برنامجاً للقوى اليسارية الأخرى التى لم تشترك فى وضعه . . على الرغم من أنه قد يكون برنامجاً جيداً . بل وعلى الرغم من أن الناصريين لو حضروا وناقشوا . بل لو تناقشوا فيما بينهم للخروج ببرنامج عمل لما اختلف كثيراً عن برنامج اليسار الماركسى .

— ما نريد أن نقوله مرة أخرى هو . . لقد كان على منظمو الندوة أن يعلنوا أن اليسار الماركسى يقوم بعملية تقييم لتجربة عبد الناصر . ويريد أن يطرح تصوراته للمستقبل بشكل مستقل . وهذا الأمر لا يمكن أن يلام عليه الماركسيين ، ذلك أن من حقهم أن يعلنوا آرائهم كيفما يحلوا لهم . بل إن هذا يعتبر أمراً مطلوباً ومفيداً لأخصاب التجربة ولفتح حوار جدى وفعال بينهم وبين اليساريين الآخرين . كما أن خطوة كهذه لم يكن ممكناً انتقادها من جانب الناصريين . ذلك أن الشيوعيين لا يمكن الشك فى أنهم دافعوا عن ناصر فى وجه الحملة الرجعية ، وتحالفوا مع الناصرين وآزروهم . وتعرضوا

بسبب ذلك إلى هجمات اليمين ـ الذى اتهمهم بأنهم يرفعون راية الناصرية . وتعرضوا كذلك إلى كثير من الاتهامات بأنهم منافقون ومخادعون على أساس أنهـــم يدافعون عن عهد تم اضطهادهم فيه وسجنهم وتعذيبهم .

إننا نحس بأن من حق الشيوعيين الطبيعى أن يحاولوا الظهور بمظهر مستقل وأنهم رغم اتفاقهم مع الناصريين فى كثير من القضايا فهم على خلاف معهم فى الـكثير كذلك . وأنهم حينما يدافعون عن ناصر فى وجه الحملة الرجعية فليس معنى ذلك أنهم يوافقون على أن كل ما فعله يعبر عن مواقفهم وآرائهم . وإنما يدافعون عنه باعتباره قائداً وطنياً وتقدمياً .

. . ومن الإنصاف أن نقول أن الشيوعيين لا يجب أن يحملوا على كواهلهم عبء الدفاع عن ناصر ، نيابة عن الناصريين . . ومن لإنصاف كذلك أن نقر بحقهم فى النهج المستقل حتى لا يدفعون ثمنـاً لقضية ، ليست قضيتهم أو قد تـكون لهم وجهات نظر فيها يودون إعلانها بصراحة .

إذن من حق الشيوعيين أن يفعلوا ويقولوا ما يريدون . ولـكن الشىء المحير هو أنهم يتمحكون فى الحـكيم ليقوموا بشىء بهذا العمل وهذه مسألة غير مفهومة فإما أن يقوموا هم بهذا العمل وحدهم كماركسيين أو يقوموا به

الناصرين أو لا يقوموا بشىء على الإطلاق .

ونحن لا نعرف ما هى الحكمة التى تكمن وراء مناقشتهم لتجربة عبد الناصر مع شخص أصبح من أكبر أعداء التجربة وأكبر مهاجم لها بما لا يقبل مجالا للشك — واستبعاد الناصرين من المناقشة !

هناك احتمال قد يبدو منطقياً ـ وهو أن الماركسيين أرادوا اتخاذ توفيق الحكيم كستارة حتى لا يقولوا صراحة أنهم يريدون تقييم التجربة من وجهات نظرهم كماركسيين .

. . وعلى كل فعلينا ألا نسير أكثر مما يجب فى ذكر الاحتمالات والانغماس فى التحليلات لهذا الموقف . إذ ما دام من حق كل فريق أن يقول ما يريد فليستخدم الأسلوب والتاكتيك الذى يراه مجدياً وملائماً للاعلان عن وجهات نظره .

* * *

. . لقد كانت الحجة التى قيلت لتبرير إجراء الحوار مع توفيق الحكيم هى أن من الضرورى عدم تمكين الرجعية من استغلال توفيق الحكيم خاصة بعد صدور كتابه « عودة الوعى » وجذبه إلى المعسكر التقدمى ، لحرمان الرجعية من استخدامه بوزنه الكبير فى حربها المسعورة ضد القوى التقدمية ، وقيل كذلك ، أن توفيق

الحكيم شيء مختلف تماماً عن القوى الرجعية المهاجمة .

. . وعلى كل حال فهذه غاية نبيلة من أخواننا الماركسيين ، ذلك أن نجاح أى قوة تقدمية فى جذب أكبر عدد من الناس إلى معسكرها وحرمان الرجعية منهم يعتبر عملا سياسياً حكيما ويستحق الجهد الذى يبذل فيه . . بل وحتى مجرد تحييدهم يعتبر عملا مشكوراً وواجباً . . ولكن الشيء الذى يبدو أن أخواننا الماركسيين لم يصدقوه ، أو لم يريدوا تصديقه ، هو أن توفيق الحكيم قد اختار معسكر الرجعية عن وعى . وأنه يلعب لعبة انتهازية يدرك أبعادها . ويلعبها بعناية واقتدار يساعده فيها تلك المثالية والأستاذية التى مازال بعض الرفاق الشيوعيين يعطونها له . . وهكذا فإن أى متابع للندوات بشكل دقيق ، يستطيع أن يكتشف على الفور . أن المشتركين فيها ،كانوا حريصين ـ خاصة لطفى الخولى ـ على أن يتخذ الحكيم مواقف تقدمية وأن يعلن بما لا يقبل الشك استنكاره للحملة الرجعية التى تريد تصفية كل المكاسب التى حصل عليها العمال والفلاحون . . وكان الحكيم بدوره حريصاً على أن يحصل على شهادة بالبراءة ـ دون أن يتورط فى تمكين المشتركين فى الندوة من إغرائه على إعلان مواقف واضحة ضد الرجعية . . وكانت لعبة لا مبرر لها . كان من الضرورى أن تصل إلى نهاياتها المحتومة .

ذلك أن المراوغة التى لجأ إليها الحكيم لم يكن ممكناً أن تستمر إلى مالا نهاية وكان عليه آخر الأمر أن يحدد موقفه بوضوح .. وهذا ما فعله ، وكانت النتيجة مخيبة تماماً لآمال أخواننا الماركسيين الذين ثبت عقم محاولتهم . وأنهم فشلوا فشلا ذريعاً فى تحقيق أى نجاح مع الحكيم . الذى أعلن بوضوح أنه ليس معهم ولا مع غيرهم من الاشتراكيين وليس من طبعه أن يكون معهم أو مع غيرهم !

.. لقد كانت نهاية الحوار من النوع المضحك ، فلقد فشلوا فى أن ينتزعوا منه أى اعتراف بأنه يسارى أو اشتراكى ، أو ضد الرجعية !

.. ففى عدد سبتمبر ١٩٧٥ من مجلة الطليعة نشرت الجلسة الأخيرة من جلسات الحوار بين توفيق الحكيم واليسار المصرى ـ وتقدم لطفى الخولى ببرنامج عمل للمستقبل من عدة نقاط . وقد تعرض البرنامج إلى المناقشة من جانب عدد من المجتمعين ، وقد حوى البرنامج النقاط التالية :

النقطة الأولى : بناء ديموقراطى لتحالف جميع القوى الوطنية والتقدمية على اختلاف منابعها الفكرية والاجتماعية بدون استثناء

بمصادر الاستقلال التنظيمى والفكرى لكل قوة فى حزب أو منبر أو جماعة - ويعمل من أجل تدعيم وتطوير المجتمع فى مختلف المجالات الاقتصادية وبالذات المالية والصناعية والزراعية وذلك على أساس خطة تنمية وطنية شاملة ومستقلة ، وتعتمد - بالأساس - على قيادة القطاع العام الذى يجب أن تسوده ديموقراطية الإنتاج والإدارة .

ثانياً : تشجيع قطاع الرأسمالية الوطنية المنتجة فى إطار خطة التنمية الشاملة ومده بجميع الإمكانيات اللازمة وحمايته من مخاطر الرأسمالية الطفيلية والبيروقراطية .

ثالثاً : تحويل الإصلاح الزراعى إلى ثورة زراعية ، تنقل الفلاحين والمجتمع الريفى نقله حضارية ، من خلال علاقات اجتماعية أكثر تقدماً تقوم على أساس التعاونيات الاختيارية فى الإنتاج والتسويق مع ترشيد وتطوير الوسائل والإمكانيات والقضاء على أسباب ومظاهر الاستغلال المتزايدة لأغنياء الريف . والنزول بالحد الأعلى للملكية إلى ٢٥ فداناً للفرد ، ٥٠ فداناً للأسرة .

رابعاً : المحافظة على مكاسب العمال والفلاحين ، وجماهير الكادحين يدوياً وذهنياً ، وتدعيمها وتطويرها بما يحقق احترام

العمل الإنسانى واعتباره أثمن رأسمال ، وحمايته وتأمينه ضد كل المخاطر ووضع نظام يوفر الحوافز المالية والمعنوية للانتاج والإبداع .

خامساً : بناء مؤسسات الدولة بناء عصرياً على أسس تـكفل التعبير الحقيقى عن قوى التحالف بثقلها المتميز للعمال والفلاحين ، وتقوم بواجباتها على أساس من العمل الجماعى والالتزام بالمسئوليات السياسية أمام مجلس الشعب المنتخب انتخاباً حراً .

سادساً : الحد من الفروق الشاسعة بين الحد الأدنى والحد الأقصى للأجور بحيث لا تزيد عن واحد إلى ١٥ ضعفاً على الأكثر .

سابعاً : توفير مناخ صحى لممارسة الديموقراطية الشعبية ، شكلا ومضموناً بما يتضمن ذلك من حرية الرأى والقول والاجتماع وتكوين الاتحادات والروابط والنقابات وإصدار الـكتب والصحف والإبداع الفنى والفـكرى والبحث العلمى دون ما تدخلات إدارية أو قيود رقابية .

ثامناً : إحداث ثورة ثقافية بتخطيط علمى ، ومن أفق تقدمى عصرى ـ على المدى الطويل ـ تتناول مناهج التعليم العام ، وتحرير الجامعات ـ ومراكز البحث العلمى والإبداع الفنى من جميع القيود

ومحو الأمية بحيث يثرى الإنسان معنوياً وروحياً بنتاج العقل البشرى وإيجابيات التراث القومى والإنسانى .

تاسعاً : احترام حرية العقيدة ، وممارستها والوقوف ضد كل المحاولات لاستغلال الدين من جانب القوى المتخلفة اجتماعياً وفكرياً لمعاداة التقدم ومحاربة الاستغلال :

عاشراً : الإلتزام فى إطار استمرار التعبئة لتصفية الإحتلال الإسرائيلى باقتصاد حرب يوزع الأعباء والتضحيات على جميع الطبقات والأفراد توزيعاً عادلا بما يحقق تصفية الدخول الطفيلية والإتجار فى أقوات الشعب ويحد من التضخم وارتفاع تكاليف المعيشة .

وبالإضافة إلى هذه النقاط العشر ، فقد تقدم لطفى الخولى بنقاط أخرى فى البرنامج . ويؤكد على عروبة مصر ، وضرورة التحامها مع القوى التقدمية فى الوطن العربى والعمل على تحرره ووحدته . ومشاركة الشعب الفلسطينى فى نضاله ، والدخول فى مشاريع اقتصادية مشتركة وانتهاج سياسة خارجية معادية للامبريالية وتخدم حركة التحرر العربى ، وتمتين أواصر الصداقة مع الاتحاد السوفييتى والكتلة الاشتراكية .

.. وبعد أن تقدم لطفى الخولى بالبرنامج ، بدأت المناقشة واشترك فيها كثيرون — ولوحظ أن الأستاذ توفيق الحكيم لاذ بالصمت حينما بدأت مناقشة البرنامج ، ولكنه — أخيراً — تكلم ، وكان من الواضح أنه بدأ يتبع خطة جديده محتواها الحقيقى الهروب من الإلتزام بأى موقف ، وبأى رأى ، وبأى اتجاه . أى يكون رجل اللا موقف ، واللا رأى ، واللا اتجاه ! ! ذلك أن تسلسل المناقشات كان سيؤدى بالضرورة إلى تحديد مواقف واتجاهات . وبلورة وجهات نظر بالنسبة للقضايا المطروحة للنقاش . فهذا من طبيعة الأمور . . وإلا فلماذا اجتمعوا ، ولماذا تناقشوا ؟

.. ولكن إخواننا الماركسيين لم يفهموا الأستاذ توفيق الحكيم كما ينبغى وكانوا — على ما يبدو — حسنى النية ، أو انخدعوا فى قدرتهم على إقناعه باتخاذ موقف ضد الرجعية ولو من باب المجاملة ! !

.. ولكنهم لم يفهموا كما ينبغى ، أن الحكيم انتهازى ، والانتهازى لا يمكن أن يتخذ أى موقف سياسى أو اجتماعى مع اليسار . خاصة إذا لم يكن اليسار فى السلطة .

— وهكذا عندما اقتربت اللحظة المحتومة فى الحوارات . وهى اللحظة التى أصبح على المشتركين فيها أن يحددوا مواقفهم . . وكان

البرنامج الذى تقدم به لطفى الخولى ، معاد للرجعية . ولأن الرجعية تسيطر على الغالبية الساحقة من مراكز السلطة ومجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى . ولها اليد العليا . فلم يكن ممكناً أو منتظراً أن يتخذ الحكيم أى موقف يغضب الرجعيين .

وكان حواراً مضحكا ويدعو للعجب ، فقد عكس انتهازية الحكيم التى لا يمكن تخيلها ، كما عكس خيبة الأمل التى أصيب بها لطفى الخولى — لأنه هو الذى دعى الحكيم إلى الحوار .

وحين جاء الدور على الأستاذ توفيق الحكيم ليحدد موقفه ويقول رأيه فى البرنامج أخذ يراوغ بطريقة مملة وتثير الغيظ .

— قال توفيق الحكيم :

« فإذن عندما يقال بأن هناك برنامجا أو منهجاً يعرض ، فاعتقد أنه — كما قال لطفى الخولى نفسه — منذ قليل — أنه عبارة عن تصور المنهج أو تصوره لمستقبل البلد ، فى الحدود التى ذكرها كرؤوس مسائل ، ولو أنه دخل فى تفصيلات — وأنا — أيضاً — مع من حبذ فكرة الخطوط الرئيسية وترك التفصيلات إلى دراسات مستفيضة لأنها تحمل أخذ ورد . وبذلك فأنا ـ بالتالى لا أستطيع أن أتكلم موضوعياً أو تفصيلياً فى هذه الآراء التى عرضت لأنه ـ كما قيل

أيضاً ـ كل كلمة فيها من ناحية رؤوس المسائل تحتاج إلى دراسة أو تحتاج إلى تجديد فأنا مثلا عندما أقول كلمة الانفتاح » .

. . ثم أخذ يتحدث عن ضرورة تفسير كلمة الانفتاح والانغلاق. وما هو معناهما . ! !

. . الآن . حينما دقت ساعة تحديد الموقف والرأى يقول الحكيم أنه لا يستطيع أن يتكلم « موضوعياً أو تفصيلياً في هذه الآراء التي عرضت » ؟! بينما استطاع أن يتحدث عن ناصر وعن تجربته بالهجوم والتجريح ؟

. . ولكن لطفى الخولى ـ سأله ـ :

« هذا لا يمنع أن تقول تصورك » ولكن الحكيم راوغ مرة ثانية ـ وأخذ يتحدث عن الانفتاح والانغلاق الذى كان موجوداً أيام عبد الناصر .

وعاد لطفى الخولى لمحاصرته ـ فسأله ـ :

ـ لكن لو أذنت لى . . نحن فى الجلسات الماضية كنا نتحدث عن التجربة وانت تلح على ضرورة النظر إلى المستقبل ومساراته إلى أين . . أنا ألاحظ فى هذه الجلسة وأنت تعود بنا إلى الماضى . وتصورى أن المطلوب فى هذه الجلسة هو التصور المستقبلى لأننا نختتم

الندوة . فما هو تصور أستاذنا توفيق الحكيم للمستقبل ومساراته ؟ وما رأيه فيما طرح من الزملاء جميعاً وليس فقط تصوره الخاص .
أنا موافق على أنه لا يمكن أن يكون برنامجاً . ولكن هو مجرد تصور طرح من جانبي ومن جانب الزملاء المشاركين فى الندوة ونحن حريصون أيضاً على أن يخرج قارىء الندوة بتصور توفيق الحكيم للمستقبل .

توفيق الحكيم — تصور وضع سياسى واقتصادى للمستقبل هذا فى منتهى الصعوبة لأننا سندخل الغيبيات وأنا لا أحب أن أتكلم فى الغيبيات . الغيبيات هو أن تقول سيحدث كذا . وهذا أسلوب غير علمى . إنما الذى يجب أن نقوله . أنه حدث ذلك . وأن هذا الذى حدث أدى إلى كذا . وأن نحن لا بد ـ فى المستقبل ـ ألا نكرر التجربة الخاطئة فى كذا . وأن نكررها فى التجربة الناجحة كذا . إما أن نقول أنه سيحدث كذا فهذا هو النوع الغيبى وهذا ما آخذه على كارل ماركس نفسه فى أن عنده نوع إيجابى ونوع غيبى ، ولذلك أخطأ فى الناحية الغيبية . وهو يقول بأن حتمية الصراع بين كذا وكذا ستؤدى إلى كذا . وأنه لا بد أن تقوم الاشتراكية فى دولة صناعية كبرى . فكانت النتيجة أنها لم تقم فى الدولة الصناعية الكبرى وقامت فى دولة متخلفة . إذن هذا التنبؤ

وهذه الغيبيات عندما يتخذها رجل العلم فانها تؤدى به إلى أخطاء كثيرة . إن العلم عندما يبنى على غيبيات فإنه يأتى بنتائج سيئة جدا حتى فى علم الميكانيكا أو العلم المادى عموما . إذا قررت بأنه ان يحدث فى المستقبل أن الخطين المتوازين يتلاقيان فإن أينشتين سيقول لك : سيتقابلان لماذا تحكم فى المستقبل أنهما لن يلتقيان ؟ لقد وصل أينشاتين إلى أنهما سيلتقيان وذلك على أساس حسابات جديدة .

وعاد لطفى الخولى إلى محاولة حصاره حينما بادره بالسؤال :

— طيب على أساس هذين الخطين هل خطانا سيتقابلان فى المستقبل . ؟

توفيق الحكيم : أى خطين . ؟

لطفى الخولى : الخط الذى نمثله والخط الذى تمثله .

توفيق الحكيم : سيتقابلان ؟ لا أعلم .

لطفى الخولى : أين وفى أى نقطة .

توفيق الحكيم : أينشتين قال ان الخطين يمكن أن يتقابلا خارج الجاذبية الأرضية هما لا يتقابلان وفق نظريات الهندسة المطبقة الموجودة على سطح الأرض بأبعاد معينة . ولكن إذا تخطيت مجال

هذه القوانين — على الأرض فإننا سنتقابل ويتقابل اليمين واليسار في شيء آخر . لا هو يمين ولا هو يسار لأن هذه أسماء تغلق على العقول كل أمل في المستقبل لأنك عندما تقول أنا يسارى وتتمسك بنظريات يسارية أو يمينى فأنا شخصيا لا يمين ولا يسار خوفا من هذه الجمودية والغيبية .

لطفى الخولى : هل تعتبر نفسك يساريا ؟

توفيق الحكيم : أنا قلت مائة مرة ـ فى جلساتى ـ لا تضعوا لافتة على رأسى لأن هذه اللافتة تجمدنى ولكن أنا . .

لطفى الخولى ـ لكنك قلت أنك اشتراكى

توفيق الحكيم : ولا اشتراكى حتى . . . أنا لا أعرف هذه الكلمة .

لطفى الخولى ـ رأسمالى ؟

توفيق الحكيم ـ لا أدرى شيئاً ماذا سيحدث غدا الكلام فى هذا يجعلنى غيبيا . . الخ . »

. . بأى عبارة بليغة نستطيع أن نعبر بها عن هذه النهاية —

المهزلة ـ للحوارات المتصلة التى أجراها اليسار الماركسى مع الأستاذ توفيق الحكيم لتقييم تجربة ناصر والخروج بتصور للمستقبل ؟

. . هل نقول : ـ

« ختامها ليس مسكا » .

أم نقول : ـ

« شر البلية ما يضحك » .

. . أيا ما تكن العبارة التى نصف بها النهاية . . فإنها لطمة على وجه الماركسين . ما كان يجب أن يهيئوا الظروف بأيديهم . ليتلقوها من الحكيم . وكان عليهم أن يردوا له اللطمة على الأقل ليناقشوه ويفضحوا حقيقته الانهازية والممالئة للرجعية . . . ولا نعرف لماذا سكت لطفى الخولى عن مجادلة الحكيم حول ما قاله عن برنامجه بأنه غيبى ؟

فما هى الغيبية فى المناداة بتخفيض الحد الأعلى للملكية إلى ٢٥ فدانا و ٥٠ للأسرة . بدلا من ٥٠ للفرد ومائة للأسرة ؟ وما هى الغيبية فى المطالبة بأن يكون الفرق بين الحد الأدنى والحد الأقصى للأجور ١٥ ضعفا على الأكثر ؟

وما هى الغيبية فى التأكيد على حرية العقيدة وإحداث ثورة ثقافية وتأكيد عروبة مصر ؟

.. إننا لا نستغرب من توفيق الحكيم كل ذلك . لأننا لا نجارى اليسار الماركسى فى الثقة به أو فى إمكانية تحييده . أو إبعاده عن معسكر الرجعية ، لأنه حدد موقفه فى الوقوف بلامواربة فى صف الرجعية وخدمتها .

.. ولكن الذى نستغربه هو سكوت المشتركين فى الندوة عما قاله ـ كان عليهم . وخاصة على الذين دعوه ألا يجعلوه يفلت بموقفه المشين مما يحدث فى مصر ورفضه تحديد موقف من تحركات الرجعية ونشاطها وتعاظم قوتها ومحاولتها تحطيم وسلب كل المكاسب التى حصل عليها الكادحون من العمال والفلاحون والطبقة الوسطى ... كان من الضرورى فضحه وفضح انتهازيته وتلونه ..

.. أفبعد أن طولب بموقف محدد .. يتنصل حتى من أنه اشتراكى . ويصاب بالرعب حينما ذكره لطفى الخولى بأنه قال عن نفسه أنه اشتراكى ؟

.. ولا يخجل من أن يضع عنوانا لأحد أبواب كتابه

« اشترا كيتى » وأى اشترا كية تلك التى يزعمها ؟

. . هل فقد وعيه فكتب عن نفسه أنه اشترا كى ثم عاد إليه وعيه بعد صدور الكتاب بحوالى شهر لينفى فى الندوة عن نفسه أى تهمة بأنه اشترا كى ؟

. . أى منطق فى الدنيا ـ يمكن إقناع حتى الأطفال به ـ بأن العلمية والموضوعية هى فى مناقشة ما وقع ـ فى الماضى ـ من أحداث وتحليلها ، وأما محاولة رسم خطط للمستقبل فهذا عمل غيبى ! ! وأى منطق يقول بأن نحلل الماضى وما وقع فيه ، ونصمت نهائياً عما يحدث لنا وما يجرى حولنا وما يحدد مستقبلنا ومصيرنا . . ؟ !

ـــ ماذا يريد الأستاذ الحكيم بالضبط ؟

هل يريدنا أن نظل نهاجم تجربة عبد الناصر ونلعنه وننقده ثم لا نتحدث عما يجرى فى الحاضر . وما نريده فى المستقبل ؟

هل يريدنا أن نقول ـــ كما قال ـــ أن اشترا كيته ـــ أى اشترا كية ناصر ـــ كانت اشترا كية هزيلة لم تعط العمال والفلاحين أكثر من ١٠ أو ٢٠ ٪ مما كان يجب أن يحصلوا عليه ـــ وأنها فتحت الباب أمام نمو طبقة جديدة . ثم يتوقف الحديث عما يحدث

حاليا من نمو الرجعية وتعاظم قوتها وإعلانها السافر المرتبط بخطوات عملية ــ لسحب النسبة الضئيلة التى حصل عليها العمال والفلاحــون تحت رايات اشتراكية ناصر الهزيلة . . وإذا رفعنا صوتنا بالاحتجاج وبالمعارضة أعتبر ذلك رجما بالغيب ؟ وإذا طالبنا بتطبيق اشتراكى أكثر فاعلية ـ وبحياة أفضل لملايين الفقراء الذين يترنحون تحت ضربات الأغنياء الأنذال وصيحاتهم المجنونة لسلبهم مكاسبهم الهزيلة . . يعتبر ذلك عملا غيبيا ؟ !

ـ وفى النهاية نتساءل ؟

من الذى نجح فى خطته ، توفيق الحكيم ، أم أخواننا الماركسيون ؟

أظن أن نتيجة الحوار حول البرنامج ، والحوار الذى دار بين لطفى الخولى وتوفيق الحكيم ـ توضح لنا الإجابة بما لا يقبل مجالا لأى شك

فإذا كان الماركسيون ـ انطلاقا من نية حسنة ـ قد أرادوا إبعاد الحكيم عن المعسكر الرجعى واحتواؤه . فانهم أخفقوا تماما ـ وأساءوا تقدير حقيقة الحكيم ، كما بالغوا بأكثر مما يجب فى قدرتهم على إبعاده عن معسكر الرجعية .

وأما توفيق الحكيم فهو الرابح من هذه العملية ــ ربح مرة حينما هيأ له الماركسيون فرصة ذهبية ليهاجم فيها عبد الناصر من نفس منطلقات الهجوم الرجعى ــ خلف ستارة التقيم ، وربح مرة ثانية حينما ضمن سكوت الشيوعيين عنه ــ وربح مرة ثالثة ــ حينما أكد للرجعية من جديد بأنه لا زال على العهد وأنه يستحق ثقتها المطلقة ــ حينما نفى عن نفسه شبهة أن يكون اشتراكى ــ حتى وإن كان هو نفسه الذى قال ذلك وحتى وإن كان قد كتب فصلا فى كتابه تحت عنوان « اشتراكيتى » ملأه بمقتطفات متهالكة من بعض كتبه . .

وربح مرة رابعة ــ حينما وجد الماركسيون أنفسهم فى وضع صعب بعد أن كشف عن حقيقته . وحتى بعد أن اتهم ماركس بأنه غيبى فى بعض القضايا واتهم برنامج لطفى الخولى بالغيبية . . ذلك أنهم هم الذين دعوه ــ وجعلوه محوراً للنقاش فى واحدة من أخطر القضايا . .

. . الماركسيون هم الذين خدعوا ــ والحكيم هو الذى ربح ــ وإذا أبى الماركسيون الاعتراف بذلك ــ فالمعنى الوحيد هو أنهم جاءوا بالحكيم ليتمحكوا فيه ليقوموا بتقيم ونقد التجربة من وجهات نظرهم كماركسيين . . وهنا علينا أن نعاتبهم على ذلك ــ لأنهم ليسوا فى حاجة إلى توفيق الحكيم ولا غيره . وأنهم كمناضلين يساريين

لا يجب أن يقيموا تجربة عبد الناصر مع واحد يستنكر بشدة أن يتهمه أحد بأنه اشتراكى !! كان عليهم أن يناقشوا الناصريين أو يعلنوا بصراحة أنهم يرغبون فى مناقشة التجربة بمفردهم . فهذا حقهم الذى نؤيده بقوة .

على الأقل كان سيجنبون أنفسهم هذه النهاية ـــ المهزلة ـــ التى انتهى بها الحوار .

ملاحـــــق

فى الوقت الذى لاذ فيه توفيق الحكيم بالصمت المطبق ، وسكت عن هجوم الرجعية برغم إدعاؤه بأنه اشتراكى قديم ، ظهرت مقالات كثيرة لعديد من الكتاب ، تتصدى للهجوم الرجعى تظهر القيمة الحقيقية لادعاءات الحكيم .

هذا بلاغ للشعب المصرى

بقلم : جلال سرحان

هذا البلاغ ليس مقدما إلى النائب العام . . ولكنه مرفوع إلى الشعب المصرى ، وأغلبيته الساحقة من الفلاحين والعمال على وجه الخصوص .

فى الجلسة التى عقدها مجلس الشعب يوم الاثنين الماضى وناقش فيها قانوناً من أكثر القوانين اتصالا بمصالح الفلاح المصرى . . وهو قانون الإصلاح الزراعى . . اختفى ممثلو الفلاحين والعمال من قاعة المجلس . . ولم يسمع صوتهم خلال المناقشه . . حتى خيل للبعض أن هذا المجلس ينتمى إلى ما قبل عام ١٩٥٢ . . وأنه لا يضم ٥٠ ٪ على الأقل من العمال والفلاحين .

ولولا أننا نعلم أن عـــدد أعضاء مجلس الشعب المصرى ٣٦٠ عضواً . . وأن ١٨٠ عضواً منهم عل الأقل من الفلاحين والعمال

بحكم كل المواثيق والقوانين الثورية · وأن القيادة الثورية المتمثلة فى الرئيس السادات متمسكة باستمرار هذه النسبة للعمال والفلاحين فى كل المجالس المنتخبة .. لولا ذلك لذهبت بنا الظنون مذاهب شتى .

فهل يعقل أن يناقش مجلس الشعب إعادة تنظيم العلاقة بين ملاك الأرض الزراعية ومستأجريها من الفلاحين ، وأن يتخذ المجلس قراراً خطيراً يعيد تشكيل هـــذه العلاقة التى استمرت أكثر من عشرين عاما . . ولا يحضر المناقشة ولا يشترك فيها أكثر من ثمانين من أعضاء المجلس ·

أين ذهب المـائة وثمانون عضواً من ممثلى الفلاحين والعمال · كيف سمح لهم ضميرهم السياسى بأن يقضوا هـذا اليوم الخطير بعيداً عن قاعة مجلس الشعب ؟ . . وإذا كانوا قد تغيبوا عن المشاركة فى هذه المناقشة التاريخية .. فما مبرر انتمائهم لمجلس الشعب بعد ذلك.. وما هو دورهم فى هذا المجلس بالضبط . . هل هو حضور الحفلات الرسمية . . وقبض البدلات ومصافحة الحـكام !

وليقل لى واحد منهم على الأقل . . بأى وجه يمـكن أن يواجه ناخبيه من الفلاحين بعد ذلك . . وتحت أى شعارات يمـكن أن يرشح نفسه بعد ذلك . . حماية مصالح الفلاحين والعمال . . أم حماية

مصالحه الشخصية . . ؟

لقد استمرت المناقشة حول تعديل العلاقة بين المالك والمستأجر أكثر من ست ساعات واشترك فيها أكثر من عضو من أعضاء المجلس .. ولكن معظمهم .. وياللغرابة كانوا من الملاك والرأسمالية الوطنية أو المعبرين عن مصالحهم ومعظمهم دافع بقوة وضراوة عن مصالح الملاك ، وعن رفع الإيجار السنوى للأرض الزراعية . . بل سمح بعضهم لنفسه أن ينال من قانون الإصلاح الزراعى بتهم شتى .

ونحن لا نعترض على أن تدافع كل فئة عن مصالحها داخل إطار التحالف . . ولا نعترض من حيث المبدأ على تعديل أى قانون من القوانين السائدة ، إذا كان هذا القانون قد تجاوزه الزمن .

ولكن اعتراضنا كله ينصب على أننا لم نسمع خلال هذه المناقشة الهامة إلا صوتاً واحداً فقط . . هو صوت الملاك . . وليس هذا بالطبع ذنب الملاك . . فقد قام ممثلوهم بواجبهم خير قيام . . وعبروا أصدق تعبير عن مصالح الطبقة التى ينتمون إليها .

ولكن الذنب هو ذنب ممثلى الفلاحين والعمال الذين تركوا الساحة خالية أمام طرف واحد من أطراف التحالف . . وفرطوا فى مسئوليتهم السياسية . . وفى مصالح الطبقة التى يعبرون عنها .

والغريب أنه لم يدافع عن وجهة نظر الفلاحين فى هذه الجلسة ولم يرفض تعديل القانون ، إلا ثلاثة أعضاء إثنان منهم من المثقفين أما بقية الـ ١٨٠ عضواً الذين يفترض فيهم أن يمثلوا الفلاحين والعمال . . فيصدق عليهم المثل القائل « فص ملح وداب » .

أننا إما احتمال من اثنين . . إما أن ممثلى الفلاحين والعمال فرطوا فى مسئوليتهم السياسية فى موقف من المواقف التى لا تحتمل التفريط . . وهنا تجب محاسبتهم بمنتهى القسوة من طرف قواعدهم الشعبية .

وإما أن هؤلاء الممثلين . . مجرد ممثلين . . ولكنهم لا يمثلون الفلاحين والعمال وإنما يلبسون أقنعة الفلاحين والعمال . . لكى تضمن لهم دوراً على مسرح السياسة المصرية .

هذا بلاغ للشعب المصرى .

جريدة الجمهورية ١٩٧٥/٦/٢٩

الطلاب تنفرد بتحقيق حركة معادية للاقطاع فى المنوفية

كتب السيد عشماوى :

انتهزت الطلاب أول حركة معادية للاقطاع فى الريف المصرى وخاصة بعد الإجراءات الأخيرة التى اتخذت لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر والتى كان لها أثرها السيء على المعدمين من الفلاحين وكلفت السيد عشماوى بالسفر إلى عزبة عبد الحميد علما مركز الباجور منوفية وهى التى شهدت أحداث الصراع بين فقـراء الفلاحين وقوات الأمن .

وانطلاقاً من الأساس السادس (السلام الاجتماعى) الذى يجب أن يقوم عليه علمنا القومى والذى أكده الرئيس السادات فى حديثه إلى المؤتمر القومى العام ليلة ٢٣ يوليو ١٩٧٥ إن وطننا لا تقوم فيه درجة مقبولة من السلام الاجتماعى بين فئاته وطبقاته هو وطن غير

مستقر معرض دائماً للاخطار مبدد لقواه فى غير الحشد الوطنى .

بأمر الست عليه .

ثم تطرد الفلاح من أرضه ؟ !

على طرقات العزبة وقفت أسمع من أفواه الفلاحين حقيقة حركتهم الأخيرة المعادية لإحدى كبار ملاك الأرض وهى الست علية بيبرس التى استعدت قوات السلطة عليهم .

قالت لى فلاحة تجاوزت السبعين وهى عمة عبد الفتاح سيد أحمد الفلاح المطرود من الأرض .

إن قوات الشرطة أعطت من لا يستحق حقاً بالملكية . لقد «جرجرونى» من الأرض التى ولدت عليها وعندما أغمى على تركونى بعد أن أخذوا بقية أسرتى إلى المركز للتحقيق . . إننا جائعين بعنا كل شىء ونشترى الآن كيلة ذرة بكلية ذرة . طالب بعودة الأرض إلينا ولذا عاد إلى شبابى . . وعدت صبية كما كنت قبل انتزاع الأرض منا » .

وصاح سلامة براك أحد أفراد الأسرة وهو يعمل فى مجلس طحلة القروى :

لسنا بلاشفة (شيوعيين) إنمـا نحن أصحاب حق وأصحاب قضية عادلة ونضالنا جزء من نضال الجماهير المحرومة من الحد الأدنى للمعيشة وهو نضال مشروع رغم أن أصحاب الامتيازات والبدلات والطفيلين لا يدركون مغزاه . وقليلون هم الذين سمعوا عنه . ومؤداه أن عبودية الإقطاع ما تزال مفروضة على جميع الفلاحين الذين يعملون فى عزبتنا فمنذ وقت كان الطلاب يثورون وحدهم ثم بدأ العمال والآن نحن فلاحين نشـكل الفئة الدنيا السوداء التى تتحمل الضرائب ونداس كالحيوانات فى حجرات زريبية ونقوم بأعمال السخرة وغيرنا يعيش فى قصور .. كفانا أمر ونهى مالـكة العزبة وشتى أصناف الموظفين كفانا قسوة البوليس كيف يمـكن أن يحدث هذا ؟؟ الثروات ومظاهر البذخ تتـكاثر على الدوام بينما الفلاحين الذين يخلقون كل هذه الثروات بكدحهم يظلون مع ذلك فقراء تعساء » .

وتقدمت فتاة تدعى كريمة قائلة :

لقد ضربنى أحد كبار الضباط بحذائه عندما قلت له ، حرام عليـكم . . منكم لله . . تسلموا الأرض لوحدة غنية واحنا مش لاقيين نا كل .

وتستطرد قائلة :

— لقد ظللنا نزرع هذه الأرض منذ أكثر من ٢٠ عاما ثم طردونا منها إنها كل حياتنا ننتج بشكل مباشر الحاصلات الزراعية أما مالكة الأرض فهى تنتقل بين العزبة والقاهرة ودخلها يزيد عن ٢٠ ألف جنيه سنوياً من تأجير الأرض وتفرض سلطتها على صغار المستأجرين عن طريق إغراقهم فى الديون والسلف والإيجارات المتأخرة وعن طريق السخرة ولا نستطيع أن نحتكم لأحد .

وقاطعها فلاح وهو يضرب كفاً بكف :

— ولمن نحتكم ولمن نشكو ! لا نجد أذناً تسمعنا إننا نعيش محاصرين والآخرين مطاردين من الأرض خوفاً من رجال الشرطة حتى إذا طردوا أى فلاح آخر لا يجدوا من يدافع عن الأرض وحتى إذا شكونا فلمن نشكو ! أنشكو لمجلس الشعب مثلا وأغلب أعضائه من كبار ملاك الأرض وترتبط مصالحهم بمصالح الست عليه وهذه هى المرة الأولى منذ سنة ١٩٥٢ التى يزيد فيها دخل كبار الملاك إلى أكثر من ٢٥ فى المائة من الإيجار السنوى .

وأقبل طالب وقال :

يقولون أن محافظتنا حرة !! حرة لمن !! إن الذين يتحدثون الآن عن الديموقراطية والحرية والاشتراكية هم الخونة والاستغلاليين

وكبار ملاك الأرض ورؤوس الأموال هم القوى الرجعية والانتهازية.
لقد أرسلنا أكثر من شكوى إلى رجال الصحافة فلم ينشرو أى منها وحتى المعركة التى حدثت لم تذكر فى الصحف .

وتجولت فى العزبة أرى وأسمع .

فى منتصف مايو ١٩٧٥ نشبت معركة كبيرة بين الفلاحين ورجال الشرطة لمنع تنفيذ قرار النيابة بتسليم قطعة أرض ـ فدان ونصف ـ مؤجرة لعبد الفتاح سيد أحمد لمالكها الأصلى علية بيبرس وقد عبرت قوات من المنوفية والقليوبية فرع دمياط إلى العزبة لإخماد حركة الفلاحين ، وسلمت الأرض لصاحبتها بعد أن تم استئصال أشجار الموز المثمر وقذفه فى الماء وإحلال زراعة الذرة بدلا عنها . وقد تم القبض على الفلاحين الذين صمموا على عدم ترك أرضهم وقاوموا السلطات وحبسوا فى مركز الباجور وأثناء المعركة هرب أحد الفلاحين وهو عبد المحسن عبده من رجال الشرطة وبعد أسبوع طفت جثته على سطح المـاء وسقط جنين فهيمة السيد أحمد وهو فى الشهر الثالث وبعد الإفراج عن المقبوض عليهم عادوا فلم يجدوا زرعاً ولا أرضاً .

قال لى عمدة مشيرف محمد أبراهيم الدسوقى :

أن عائلة علما استطاعت أن تهرب الأرض من قوانين الإصلاح الزراعى وقد ورثت الست علية بيبرس عزبة زوجها (٧٠ فدان) ولها أراضى أخرى فى قرية طحله ، وهذه الزوجة استغلالية تعامل مستأجريها معاملة سيئة ومنهم عبد الفتاح سيد أحمد المستأجر وقد قامت بإجباره على تحرير إيصال على بياض ، وتؤجر له الأرض بأزيد من التسعيرة ولما وجدته يلجأ إلى الجمعية الزراعية ليتماشى معها : دبت المحسوبية وحكمت عليه بالطرد واضطهدت خاله محمد براك لإنها كانت تريد أن يناصرها ، وقد اتبعت هـذا الأسلوب مع الخفراء الذين يعملون فى زراعة أرضها ، إذ أنها تعطى للخفير خمسة جنيهات شهريا ولم تنفذ قرار رئيس الجمهورية الذى نص على أن أجر الخفير لا يقل عن ٤٠ قرشاً يومياً . . هذه المرأة ليس عندها غالى . . تعمل بالمثل القائل « بمالى أفعل ما بدا لى » .

واقتربت منى فلاحة ذابلة العينين .

— هذه المرأة شبعانة . . ولقد وثقنا بها ، فقد كانت تأخذ إيجار الأرض بدون إيصال وتقول لنا ، « أنا مالـكة هذه الأرض وأنا حرة فى إملاء شروطى ومن يقبلها فهو ملزم بالخضوع لى .. ومن لا يقبلها فليخرج منها » .

وتستطرد هذه الفلاحة قائلة :

— وهى تسكن فى فيلا بها الـكماليات ولها خفراء نظاميين ، فقد اشترت لنفسها ماكينة فى حين لا يزال الفلاح يعيش على لمبة نمرة خمسة . نجدها تجلس لتشاهد الأفـلام والمسرحيات وأولاد الفلاحين لا يجدون الضوء الصناعى للقــراءة بل عملت على عزل الفلاحين فى الجزيرة ومنعهم من التعليم فى المـدارس حتى تسخرهم عندها كما حدث فى رمضان المـاضى عندما جلس عبد الفتاح وأولاده على مائدة الإفطار وأمرت أحد أولاده بالقيام لوضع ماء فى ماكينة النور وعندما رفض القيام قبل الأكل بدأت تضطهدهم وتنكل بهم إلى أن تمـكنت من طردهم من الأرض » .

تركت أسرة الفلاح المطرود من أرضه وخرجت وأنا أفـكر فيما تحدثوا به إلى وفى الطريق وعلى مشارف العزبة تقدم إلى شيخ معمم وقال :

— اسمع إذا كنت تريد أن تـكتب الحقيقة فسأقولها لك ، الفلاح ملعون منذ أن يولد حتى يموت « ولقد استحق الفلاحين فى عزبة الست ما حاق بهم من عذاب» . والتنـكيل بأطفالهم ونسائهم مصداقاً للحديث « خير أمتى فى المدن وبيتهم فى البـلاد وشرهم فى العزب والـكفور !! » .

إن ما حدث في هذه العزبة يذكرنا بالانتفاضات الفلاحية ضد سلطة ما قبل ١٩٥٢ فى دنشواى وبهوت وكفور نجم وأملاك الأمير محمد على وما حدث بعد ١٩٥٢ فى كمشيش ودكرنس) إن ما حدث لم يكن أمراً بسيطاً وليس مشاجرة أو معركة كما يدعى البعض ، إنها النتيجة الحتمية والطبيعية لسيدة تملك كل شيء وتستطيع بنقودها أن تشترى من تشاء من الأشخاص الذين ينفذون ما تأمر به .

إن السلام الاجتماعى فى ريفنا الأخضر مهدد بالتصدع ما دامت الحلول المقدمة للقضاء على الاحتكار الزراعى للأرض حلولا جزئية تتغافل بشكل عام مصالح أوسع الجماهير الكادحة .

وينبغى أن يتطوع محامين شرفاء للدفاع عن هذا الفلاح الذى انتزعت منه أرضه وينبغى أن ينتبه الذين يؤكدون على أهمية « السلام الاجتماعى » بديلا « للصراع الطبقى » لهذا الحادث ، وينصفون فلاحنا الفقير حتى تعود البسمة على شفتيه وشفاه أسرته .

* جريدة الطلاب العدد ١٢٨ السنة السابعة فى ١ أغسطس ١٩٧٥ .

لا .. لمجلس الشعب

طالعتنا الصحف يوم الثلاثاء ٢٤ يونيو الماضى بموافقة مجلس الشعب على تشريع بشأن تغيير أهم جوانب قانون الإصلاح الزراعى فيما يتعلق بتحديد العلاقة بين المالك والمستأجر . ولعل أهم التعديلات التي أدخلها ممثلو الشعب هى :

* رفع القيمة الإيجارية على ألا تتجاوز سبعة أمثال الضريبة الزراعية الحالية .

* جواز تحويل العلاقة الإيجارية من النقد إلى المزارعة .

* إلغاء لجان فض المنازعات واستبدالها بالمحاكم الجزئية .

* جواز طرد المستأجر من الأرض إذا ما تخلف عن دفع القيمة الإيجارية بعد شهرين من انتهاء السنة الزراعية .

ومنذ صدور الموافقة على هذا التشريع من مجلس الشعب وحتى

كتابة هذه السطور . والحملة ضد هذه التعديلات مستمرة . ليس فقط من المنابر الصحفية التي يتهمونها « بالتطرف » بل ومن عدد آخر من المنابر والتي هي أبعد ما تكون عن تطرفنا المزعوم .

والسؤال البديهي إذن هل أخطأ مجلس الشعب في تشريعه أم أصاب ؟

ولكن تجيب الطليعة على هذا السؤال بموضوعية كاملة فإنها تعرض بعض الحقائق التالية :

* فيما يتعلق بالسبب الرئيسي لرفع القيمة الإيجارية ، وهو زيادة أسعار المحاصيل الزراعية بحيث أصبحت تعطى للمستأجر عائدا أكبر من مساهمته في العملية الإنتاجية بالمقارنة بما يحصل عليه المالك من عائد مقابل مساهمته بالأرض . .

ونود أن يعود السيد رئيس لجنة الزراعة والري إلى عدة شهور ماضية . حيث كان السبب الرئيسي آنذاك لرفع المحاصيل الزراعية الأساسية هو زيادة التكاليف الزراعية — فيما عدا الإيجار — إلى الدرجة التي تناقصت معها دخول المنتجين الزراعيين ، وبالصورة التي لا يمكن بواسطتها الاستمرار في إنتاج هذه المحاصيل وتهربهم

من زراعتها . . غير أن السيد/ أحمد يونس رئيس اللجنة يقع في تناقض واضح فيقرر بما معناه أن زيادة الأسعار ساهمت في ثراء المستأجرين عن الملاك . وأن المستأجر الآن في رفاهية بينما المالك في جحيم الغلاء . . وتناسى في نفس الوقت وهو رئيس الاتحاد التعاوني المركزي حال غالبية صغار المستأجرين وهم القاعدة العريضة لفئة المستأجرين . . وماذا حدث لهم من جراء « الرفاهية » أو الثراء النسبي . . هل ازدادت دخولهم الحقيقية . . هل قلت نسبة أميتهم . . هل تغيرت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بشكل ملموس ؟ . . نترك له الرد على ذلك فربما لا يتناسى هذه المرة تلك الحقائق .

* لقد دافع السيد / أحمد يونس رئيس لجنة الزراعة والري ومقدم المشروع باستماتة حتى ووفق عليه وفي معرض دفاعه طالب باشتراكية الكفاية والعدل والعدالة وعدم الظلم . واتهم معارضيه من خلال الإسقاط الكلامي بأنه هو الاشتراكي الحقيقي وأنهم بمعنى آخر أنصار التناحر والصراع والكراهية ، بل وأعداء الاشتراكية ومن أنصار عهد الإرهاب الفكري .

وتود « الطليعة » أن تسجل موقفه في الجلسة التالية للمجلس في ٥ يوليو والتي نشرت بالصحف يوم ٦ يوليو من اقتراح تقدم به

عضو مجلس الشعب عبد الحليم الجندى » وطـالب بإجراء مـداولة ثانية فى التعديلات الخاصة بالقانون ، واقترح العضو ألا يكون طرد المستأجر وجوبيا فى حالة تـكرار تأخيره فى سداد الإيجار وإنما يترك للمحكمة لأنه ليس من المحتم أن كل من يتأخر فى السداد يكون مماطلا فقد يكون بحسن نية » . وفى تصورنا أن حسن النية الذى قصده السيد العضو يعود لأسباب خارجة عن إرادة المستأجر مثل انخفاض الإنتاج الزراعى أو ضياعه وهى ظاهرة منتشرة فى الإنتاج الزراعى نظراً لتعرضه للاصابة بالأمراض أو الآفات والظروف الجوية غير الملائمة بحيث يستحيل معه الحصول على عائد صافى يستطيع من خلاله سدادالقيمة الإيجارية . ووجد هذا الاقتراح مؤيديه ومن بينهم السيد الدكتور جمال العطيفى وكيل المجلس ، وذلك نظراً للعدالة والجانب الإنسانى الذى يتسم به هذا الاقتراح بحيث لا يـكون الطرد تعسفيا دون ما إدراك للأسباب الحقيقية وراء عدم الدفع .

غير أن السيد / أحمد يونس ومجموعة من مؤيديه عارضوا هذا الجانب الإنسانى فى التعديل المقترح وتزعموا معارضـته ولم يوافق المجلس على الاقتراح . . فـكيف يستقيم هذا الموقف فى هذه الجلسة مع الدوافع الأخلاقية والإنسانية التى نادى بها فى الجلسة السابقة لها . .

أليس من حقنا إذن أن نشكك فى النوايا المبيتة وراء هذه التعديلات وهى طرد وبلا رحمة أكبر عدد ممكن من المستأجرين .

طالب تقرير اللجنة بضرورة إباحة تعديل نظام الإيجار بالنقد إلى إيجار بالمزارعة . واتهم التقرير الفقرة التى مازالت موجودة بالقانون المعمول به حالياً وهى : « لا يجوز تعديل الإيجار بالنقد إلى إيجار بالمزارعة ولو كان ذلك بناء على موافقة المستأجر » . . بأنها « فقرة مجحفة وتدخلا فى إرادة المتعاقدين دون سبب معقول . . فضلا عن أن منع تحويل الإيجار بالنقد إلى إيجار بالمزارعة ، لا يحقق مصلحة لطرف العقد ترقى لمرتبة النظام العام ، الذى لا يجوز مخالفته كما لا يحقق مصلحة عامة للدولة ، بل ولعل فى إجازة هذا التحويل مصلحة حقيقية لاستمرار العلاقة بين طرفى الإيجار وما يترتب عليه من زيادة الإنتاج باتحاد الطرفين وعدم تدهور التربة . . » .

فأى إجحاف ذلك الذى يرتبط بانضباط العلاقة وحماية المستأجر ، وفقا لما أثبتته تجربة العلاقة الإيجارية بالمزارعة قبل الثورة من استغلال بشع للمستأجرين من قبل الملاك . . ثم أليس من حق القانون التدخل بطريقة مشروعة لمنع الاستغلال بشكل لا يحتمل التلاعب أو التهرب هذا من ناحية . . وبفرض ثبوت صحة ما أوردته اللجنة عن احتمال

تحقيق نظام المزارعة لصالح الطرفين ، فلماذا ظلت نسبة الإيجار بالمزارعة لا تتعدى ٢٠ فى المائة فى حين أن نسبة الإيجار بالنقد تصل إلى ٨٠ فى المائة من الناحية الأخرى . .

وحتى بفرض وجود هذا النص وإذا ما رغب المستأجر فى تحويل العلاقة فما هو المانع الحقيقى . . وفى هذا المجال فإننا نود أن يوضح لنا السادة مؤيدو هذا الاقتراح أو التعديل الوسائل التى يمكن بواسطتها تقنين نظام الإيجار بالمزارعة وضبطه بهدف الحيلولة دون استغلال المالك للمستأجر وتحويله مرة أخرى لنظام الاقنان اللاإنسانى أمام الضغط السكانى على الأرض الزراعية وزيادة قاعدة المعدمين الزراعيين وانصافهم فى الريف المصرى .

* لقد سبق أن تعرض بعض المتخصصين والكتاب لموضوع إحلال المحاكم الجزئية بدلا من لجان فض المنازعات و « الطليعة » تشاطرهم الرأى فى أن مثل هذا التحول من شأنه أيضاً أن يساهم فى تحطيم البقية الباقية من إمكانية غالبية المستأجرين على الاستمرار فى الإنتاج حيث لا تكافؤ فى فرص الدفاع أو التقاضى . أيا كانت مبررات واضعى التعديل الخاص بها .

* تبين أن أحد مشروعات القوانين التى تقدم بها أحد الأعضاء

كما هو مبين فى محضر جلسة مجلس الشعب قد طالب بحق المالك فى طرد المستأجر إذا ما وافقت له الجهات المختصة بزراعة أرضه حدائق ، كما يبيح المشروع للمالك لثلاثة أفدنة فأقل من طرد المستأجر على أن يدفع للمستأجر تعويضاً فى حدود لا يقل عن عشرين مثل مجموع الضرائب والرسوم المفروضة على الأرض الزراعية المؤجرة .

ولقد أفردت « الطليعة » صفحاتها فى عدد يونيو الماضى لدراسة قدمها الدكتور محمد أبو مندور أحد المتخصصين فى هذا المجال والذى نبه فيها عن حجم المخاطر الاقتصادية والاجتماعية التى يمكن أن تتحقق من جراء هذه التعديلات .

كما طالب أحد مشروعات القوانين المقدمة إلى رفع القيمة الإيجارية إلى ١٠ أمثال الضريبة الحالية وهو بهذا الاقتراح كان أكثر تطرفا من المشروع الذى أقر وبرر ذلك بزيادة أسعار المحاصيل الزراعية . . ناسيا هو أيضاً السبب فى الزيادة وأنها لم تنعكس على الفلاح بذلك الثراء الفاحش الذى يجعله ينتقص جزءا منه .

إن الطليعة لا تعارض أية مناقشة علمية ومتأنية وموضوعية لأى قانون أو قضية تمس ظروفنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . غير أنها فى ذات الوقت لا يمكن أن توافق على تعديلات جوهرية فى

قانون أساسى بهذه السرعة . وعلى ذلك فهى لا تعارض ممكنات إجراء تعديلات فى العلاقة بين المالك والمستأجر إلا أنها تود أن تضع مجموعة ضوابط وشروط وملاحظات فى هذا الجانب ومن أهمها:

* إن رفع القيمة الإيجارية لا يمكن أن يتم بهذه السهولة والسرعة والبساطة ، دون ما حسابات دقيقة وفعلية عن التكاليف والأسعار للفئات الحيازية المختلفة ، وللمحاصيل الزراعية المتنوعة ، والتى تتباين فى تكاليفها وأسعارها من محصول إلى آخر ، ومن منطقة إنتاجية إلى منطقة أخرى ، بل ومن الحيازة الصغيرة إلى المتوسطة والكبيرة .

* إن تعديل القيمة الإيجارية لا بد وأن يراعى وضع . د أدنى إنسانى للمستوى المعيشى لصغار المستأجرين والملاك . ومن هنا فإن القيمة الإيجارية لا يجب أن تقر بصورة مطاقة لكل الشرائح الاجتماعية سواء كانوا ملاكا أو مستأجرين أو من مزارعى القطن والقمح حيث الأربحية المنخفضة إلى مزارعى الخضر والفاكهة ذوى الدخول المرتفعة .

* إن التعديلات المقترحة ، لا يجب أن تتم دون ما نظرة مستقبلية وشمولية لمستقبل الزراعة المصرية ، والتى يجب أن تتم فى إطار التصور الاستراتيجى لمواثيقنا السياسية . وهو الانتقال بها من الشكل الإنتاجى

الفردى المتخلف إلى الشكل التعاونى والإنتاجى المتقدم . غير أن هذه التعديلات التى وافق عليها المجلس ستحول دون تحقيق هذا المطلب — كما نعتقد — بل أن هذه الإجراءات من شأنها أن تزيد التمسك بالأرض كمصدر من مصادر القوة الاجتماعية . وستساعد على الاقتتال على تملكها والانفراد بها ، مما سيساهم فى زيادة تخلف العلاقات الاجتماعية فى الريف المصرى .

أن موقف غالبية أعضاء مجلس الشعب من هذا القانون ، يجعلنا ندق ناقوس الخطر حول الممارسة الديموقراطية فى مجلس الشعب . وتجعلنا نسأل وبصراحة كاملة لمن الديموقراطية . . وبمن ؟ ! وشكنا هذا مدعم بالقرائن والأدلة . . فقط نموذج واضح حى . أين مشروع القانون الخاص بفرض الضرائب على الحدائق والذى عرض فى عام ١٩٧٢ . وكنا قد سمعنا عن محاولة لاحيائه فى الشهور الأخيرة ونشر فى الصحف أن هناك نية لوضع مثل هذا القانون . غير أنه لم ير النور حتى الآن !!!

أن النظرة الأنانية والضيقة غير المتأنية والمدركة لابعاد مثل هذه التعديلات قد تقودنا إلى منعطف خطير فى أهم قطاعات اقتصادنا القومى من الناحية المالية والبشرية . الأمر الذى يجعلنا نلح فى الدعوة

إلى إعادة النظر فى مثل هذه التعديلات والتى ستكون لها آثارها الوخيمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ليس لجيلنا فحسب بل وربما لأجيال قادمة . .

وفى النهاية . . نوجه نداء مخلصا إلى أعضاء مجلس الشعب من الفلاحين . . نرجو ونلح فى الرجاء أن تعودوا إلى قواعدكم فى الريف ، لتروا الفلاح المصرى مالك أو مستأجر الخمسة أفدنة فأقل ماديا واجتماعيا وثقافيا وصحيا . . حللوا مشاكله . . . ثم بعدها عودوا إلى جهازكم التشريعى لترسموا له خيوط الأمل لمستقبل بلا فقر أو جهل أو مرض . . ويومها فقط ستكون قراراتكم موضوعية وواقعية . وبدون ذلك سنقول : « . . لا . . . لمجلس الشعب » .

كلمة « الطليعة » عدد أغسطس (آب) ١٩٧٥

الفهرس

أودع بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٧١٢ / ١٩٧٦

دار مأمون للطباعة

شارع خيرت (درب البندق) ت : ٢١٢١٨



"لقد صدر فى بداية الأمر قرار بتحديد إقامتى بالمنزل قبل أن أسجن .. وقبل التحقيق معى، والذى حدث أن الأستاذ هيكل فوجئ بهذا الأمر لأنه عرف به من أحد الأشخاص بعد صدوره مباشرة وقبل تنفيذه، فاتصل على الفور بعبد الناصر وقال له: إننى سمعت بصدور الأمر بتحديد إقامة لطفى الخولى. فأكد له عبد الناصر صحة الخبر. وفى أثناء التحقيقات عرفت أنه تم إلقاء القبض على زوجتى، فثرت ورفعت المكتب لأقذف به فى وجه المحقق وكان السيد/ على نور الدين النائب العام. فانسكب الحبر على أوراق التحقيقات، فأرسلت الأوراق وعليها الحبر لعبد الناصر حتى يراها....!"

من شهادة لطفى الخولى

"قال لى الرئيس عبد الناصر أنه لا يمانع أبدًا فى أن أسأل عن لطفى الخولى إذا أردت وقال لى بالحرف الواحد: إسأل عنه ويجب أن تتصل به لأن لطفى الخ... بوقت عصيـ... إلى من يقـ... ويجب أن... بوجود مـ... معه ويسأل...

من شها...

الثمن ٦٠ قرشا